الفصل الثاني

الثقافة

١

الحركة العلمية

تميزت مصر بتأثيرها الواسع في الحضارة الإنسانية من قديم، وهو تأثير لا يتوقف عند الرقى بفن الزراعة وشق الترع وتدبير القنوات، إذ يمتد إلى فن المعمار وبناء الأهرامات وفن الملاحة وبناء السفن وصناعات المعادن والخزف والنسيج وورق البردي. وليس هذا فحسب فإنها نسجت لأول مرة حلل الحروف الهيروغليفية التي اشتقت منها الحروف الفينيقية، وأيضاً ليس هذا فحسب، فإنها أسهمت بقوة في نشأة العلم بمعناه العالمي، سواء العلم الهندسي أو الرياضي أو الطبي. وعلى الرغم من اقتحام الجيوش المغيرة لأسوارها وحصونها في الحين بعد الحين ظلت فيها الروح العلمية كالجذوة المتفقدة لا تخمد مهما تراكم عليها من التراب. ونستطيع أن نتبين شررا كثيرا من هذه الجذوة في عهد البطالمة الذين اتخذوا الإسكندرية عاصمة لهم، فقد بنوا فيها متحفا ضخما ضم بين جناحيه جامعة كبرى كان بها مدرسة للطب، وثانية لرياضيات والفلك، وثالثة للقانون والفلسفة، وضم أيضاً مكتبة كبيرة يقال إنه كان بها أربعمائة ألف كتبا أو أكثر. وطبيعي ان تكون اليونانية لغة الدولة هي نفسها لغة العلم في تلك الدورة من تاريخ مصر، ويغزوا الإسكندرية يوليوس قيصر وتحرق المكتبة في أثناء غزوه. وتتطور الظروف سريعا وتصبح مصر ولاية رومانية، وينشئ المصريون

obeikandl.com

مكتبة صغرى بمعبد السرابيوم على قلعة الأكروبوليس. ولا نصل إلى سنة ٣٩١ لميلاد حتى يثور القبط بالإسكندرية على ورثة الوثنية الإغريقية ومعبدهم السرابيوم ويهدموه ويدمروا معه المكتبة. ولا يعنى الرومان بالحركة العلمية في مصر أي عناية، قد عدوها مخزناً يمدهم بالقمح، ومع ذلك ظلت فيها بقايا كثيرة من حركتها العلمية لعهد البطالمة. وظلت الإغريقية سائدة في لغة العلم، وشاركتها القبطية وخاصة في الطقوس الدينية والكتابات التاريخية، وأخذت تشاركها قبيل الفتح العربي اللغة السريانية التي كانت منتشرة في الأديرة وخاصة في مجال الطب، وفي ذلك يقول بتلر: "قد كان ثمة اتصال خاص بين لغة السريان ودراسة الطب وأنه لا يبعد أن أعظم كتب الطب في القرنين السادس والسابع (لميلاد) كانت باللغة السريانية، ولا شك أن تلك اللغة كانت ذائعة بين الناس وأن آدابها كانت دائماً تدرس في الإسكندرية"(١٣).

ومر بنا في الفصل الماضى أن الحكم الروماني في مصر قبيل الفتح العربي كان لا يطاق لاضطهاد القبط دينيا ولإرهاقهم بالضرائب الباهظة، ولذلك عد القبط العرب مخلصين لهم من نير هذا الحكم الجائر الظالم. وكل شيء يؤكد أن مصر استبقت حينئذ كل ما كانت قد حصلت عليه من علوم ومعارف، ولا سيما في الطب. وليس بصحيح ما قيل من أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الإسكندرية حين أفتتحها، فقد دحض هذا القول بتلر وأثبت بالدليل القاطع بطلانه لما مر من أن مكتبة الإسكندرية الكبرى

(١٣) انظر فى هذا النص وما تقدمه من حديث كتاب فتح العرب لمصر تأليف بتلر (الترجمة العربية) ص٨٣ وما بعدها وراجع مقال ماكس مايرهوف عن مدسة السكندرية وإنتقالها إلى بغداد فى كتاب التراث اليوناني لعبد الرحمن بدوى، وقد فصل القول فى نشاط هذه المدرسة العلمى حتى الفتح العربي.

obeikandi.com

إنما أُحرقت تاريخيا في عهد يوليوس قيصر قبل دخول العرب مصر بنحو ستة قرون، بينما أحرقت مكتبها الصغرى قبل أن تخفق رايات العرب في ربوع مصر بنحو قرنين ونصف [١٤]، وإذن فالقول بأن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الإسكندرية افتراء ليس له اي أساس تاريخي.

ومعروف أن الإسلام دفع أمته في كل مكان إلى العلم والتعلم، وليس بين أيدينا ما يكشف كشفا تاما الحركة العلمية بمصر في عصر الولاة ولكن هناك دلائل كثيرة تدل على أنه انبعثت فيها حركة علمية إسلامية عربية قوية، فبمجرد أن فتحت مصر أخذ بعض الصحابة يتجردون لإقراء المسلمين القرآن وعرض بعض الأحاديث النبوية عليهم ليقفوا على تعاليم دينهم، وكانوا يفتونهم في بعض المسائل حتى يميزوا الحلال من الحرام، ويعظونهم مذكرين لهم باليوم الآخر وما عند الله من الثواب الآجل. ونهض بهذا الجهد العلمي طبقات من الصحابة الفتحين لمصر ومن التابعين ومَنْ جاءوا في إثرهم. وفي كتاب حسن المحاضرة للسيوطى اثبت طويلة بأسماء القراء والمحدثين والفقهاء والوعاظ ممن اضطلعوا في الحقب الإسلامية الأولى بمختلف الدراسات الدينية.

وكانت هذه الحركة العلمية تحظى- منذ أول الأمر- برعاية الدولة وولائها، فقد كانت ترسل إلى مصر من يفقه الناس في أمور دينهم، وبدأ ذلك منذ زمن عمر [١٥] بن

---

(١٤) بتلر ص ٣٤٨ وما بعدها وقارن بصفحة ٨٣ وما كتبه فى الصل الثامن وبمقال ماكس مايرهوف فى الترا اليوناني.

(١٥) حسن المحاضرة ١/ ١٩٠.

obeikandi.com

الخطاب. وكان هناك دائماً القضاة للحكم بين النسا في خوصماتهم وللفتوى فيما يجدّ لهم من الشئون، وكانوا عادة من الفقهاء وكثيرون منهم كانوا محدَّثين، وكان يسند إليهم الوعظ. ودائما تلقانا نصوص هنا وهناك تدل على أن الدولة كانت تعنى بإرسال بعض المحدثين والفقهاء إلى مصر لتعليم الناس، من ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١) أرسل إلى مصر نافعا[١٦] مولى ابن عمر يعلم الناس السنن، كما أرسل ثلاثة من الفقهاء للفُتيا كان من بينهم يزيد [١٧] بن أبى حبيب وقد أقام بها حتى توفي وكون بها مدرسة فقهية كان لها أثرها البعيد بعده. ولم تكن مصر تكتفي بما يرسلهم إليها الخلفاء الأمويون، فقد أخذت تتكون فيها أجيال من الراء والفقهاء المحدثين نجد أسماءهم مرتبة حسب وفياتهم في حسن المحاضرة. وكلما خطونا خطوة في العصر العباسي الأول أحسنا بازدياد هذا النشاط، ومن المؤكد أنه كان مما يُذْكيه الأعطيات والرواتب التي كانت تفرضها الدولة وولاتها للعلماء، كما كان الشأن في بغداد والبصرة والكوفة.

وظاهرة مهمة تلاحظ على القضاة والعلماء في مصر، فإن منهم من كان ذا سعة في الثراء ويبدو أن القضاة كانوا يتقاضون أعلى الرواتب، فقد كان عبد العزيز بن مروان وإلى أخيه عبد املك على مصر يفرض لعبد الرحمن بن حجيرة الخولاني القاضي ألف [١٨] دينار كل عام، ومر بنا في الفصل الماضى أن عبد الله بن طاهر حين ولى مصر لعهد المأمون وفرض لقاضى الفسطاط سبعة دنانير كل يوم. وكان الليث بن سعد الفقيه ثريا

(١٦) حسن المحاضرة ١/ ٢٩٧.

(١٧) حسن المحاضرة ١/ ٢٩٩.

(١٨) حسن المحاضرة ١/ ١٣٧.

obeikandi.com

ثراء طائلا، ويقال إن هرون الرشيد أقطعه إقطاعات كثيرة كانت تدر علي آلاف الدنانير، وكان يرسل إلى مالك إمام أهل المدينة سنوياً مائة دينار. وكان ينثر موالـه نثرا على تلاميذه ومن يهاجر إلى مصر من المحدثين والفقهاء [١٩]. وكان عبد الله بن عبد الله الحكم الفقيه المالكي المتوفى سنة ٢١٤ من ذوى الأموال والرباع ويقال إنه أهدى إلى الشافعي حين نزل مصر ألف دينار وأخذ له من ابن عسامة التاجر ألفا ثانية ومن رجلين آخرين ألفا ثالثة [٢٠]. وفي ذلك ما يدل على أن كبار التجار والأثرياء في مصر كانوا يرفدون العلماء بأموالهم. ويقال إنه كان ليونس بن عبد الأعلى أحباس [٢١] (أوقاف). وكأن طيبات مصر وخيراتها صبَّت في حجور العلماء. فكان منهم كثيرون في يسار ونعمة، وكانوا يصلون زملاءهم وتصلهم الدولة وكبار التجار والموسرين، مما هيأ للعلماء أن يخلصوا للعلم وينبغوا فيه.

وظاهرة ثانية تلاحظ بجانب الظاهرة السابقة وهى أننا لا نكاد نتقدم إلى أواسط القرن الثاني للهجرة حتى يصبح لعلماء مصر حظ واضح من المساهمة في الفكر الإسلامي العربي، وقد ظلت أكثر من قرن تتلقى آثار هذا الفكر وتحاول أن تراعها وأن تضيف إليها من شخصيتها ما ينميها، وغلب عليها حينئذ التلقي والتلمذة، فهي تتلقى قراءات الذكر الحكيم والحديث النبوي والفقه واللغة والأخبار والتاريخ العربي الإسلامي، وتُسيغ ذلك كله وتتمثله حتى إذا توسطت القرن الثاني للهجرة أخذت

---

(١٩) ابن خلكان ٤/ ١٣٠.

(٢٠) ابن خلكان ٣/ ٣٤.

(٢١) ابن خلكان ٣/ ٢٥٠.

obeikandi.com

تسهم بحظ قوى فيما تتلقاه. ولعل من الطريف حقا أنها أخذت تتزعم بقوة المغرب والأندلس جميعا، فإذا هي تعدّهما لقراءة ورش ولاستقبال مذهب مالك إمام المدينة والحجاز. وليس ذلك فحسب، فإنها هي التي كتبت لأول مرة تاريخ الفتوح لإفريقيا والأندلس، وأذاعت رواية للسيرة النبوية، ستتحدث عنها فيما بعد، كانت إماما لكتب السيرة العطرة، ونفذ أحد أبنائها وهو ذو النون المصري إلى وضع أسس التصوف، كما مر بنا في الفصل الماضي. ومعروف أنها استقبلت على رأس المائتين الإمام الشافعي وحملت عنه مذهبه ونشرته في بلدان العالم الإسلامي، بحيث غدا أكثر المذاهب الفقهية الأربعة ذيوعا وانتشارا.

وعلى هذا النحو أصبحت مصر في زمن الولاة مركزا مهما من مراكز العلم وقصدها الطلاب من أطراف المغرب والأندلس لحمل العلم عن علمائها المختلفين. ونمضى إلى زمن الدولة الطولونية فنرى الحركة العلمية نامية ناشطة على نحو ما تصور ذلك أسماء العلماء المصريين والوافدين المدونة حسب تاريخ الوفيات والتخصصات العلمية في كتاب حسن المحاضرة. ويبْنى أحمد بن طولون جامعه المشهور ويرتّب لإملاء الحديث النبوي فيه الربيع بن سليمان المرادي ويحمل إليه صناديق المصاحف وينقل إليه القراء والفقهاء [٢٢]. وليس بين أيدينا نصوص توضح أعطياته للعلماء، ويبدو أنها كانت كثيرة غذ يروى أنه كان يعطى القاضي بكار بن قتيبة كل سنة ألف دينار خارجا عن المقرر له وأنه ظل على ذلك أعواما كثيرة [٢٣]. ولابد أن عطايا مقاربة كانت تعطى للقراء والفقهاء

(٢٢) خطط المقريزى ٣/ ١٤٦ وما بعدها.

(٢٣) ابن خلكان ١/ ٢٧٩.

obeikandi.com

والمحدثين والقائمين على دراسة التاريخ واللغة والأدب. وأخذت مصر منذ زمن ابن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ) بل قبل زمنه بعشرات السنين تصبح مقصدا للعلماء وطلاب العلم لا من المغرب والأندلس فحسب، بل أيضاً من الشام والعراق وإيران وخراسان. وقد نزلها خمسة من أصحاب الصحاح يكتبون الحديث النبوي عن عملائها، وهم البخاري وأبو داود ومسلم وابن ماجة والنسائي [٢٤] وأقام فيها الأخير وأتخذها مسكنا ودارا له، وكان ينزل في زقاق القنديل، وأملى بها سُنَنَه، وأخذها عنه الناس من المصريين وغيرهم.

وكان ابن طولون وغيره من ولاة مصر وحكامها يَـيَرّون من يزل بها من العلماء وطلاب العلم، يدل على ذلك من بعض الوجوه ما يروى من أن ابن جرير الطبري المؤرخ والمفسر المشهور المتوفى سنة ٣١٠ نزلها وهو في نحو الثلاثين من عمره سنة ٢٥٣ وتركها قليلا إلى الشام ثم عاد إليها سنة ٢٥٦ ليتزود مما لدى علمائها من الحديث والفقه. وكان شافعيا، وجمعت الرحلة بينه وبين أبى بكر محمد بن إسحق بن خزيمة النيسابوري المتوفى سنة ٣١١ حامل قراءة ورش عن يونس بن عبد الأعلى وفقه الشافعي عن تلميذيه: المزني والربيع بن سليمان المرادي إلى موطنه: نيسابور بخراسان، وأيضاً محمد نصر المروزي المتوفى سنة ٢٩٤ حامل فقه الشافعي إلى سمرقند عن المزني وغيره من تلاميذه، وكذلك محمد بن هارون الروياني المحدث وله مسند. وجاءوا جميعا إلى الفسطاط يدرسون على شيوخه، ويقال إنهم اجتمعوا يوما ولم يبق عندهم ما

---

(٢٤) حسن المحاضر ١/ ٣٠٦، ٣٠٩ وطبقات الشفاعية للسبكى (طبعة عيس البابى الحلبى بالقاهرة) ٢/ ٧، ١٧١، ٣/ ١٥.

obeikandl.com

يمونهم، وكان ول مصر قد علم بأمرهم- وأكبر الظن أنه ابن طولون- فأرسل إلى كل منهم مائة دينار، ويقال إنه أرسل إليهم ألف دينار [٢٥]. وإذا كان طلاب العلم تُغْدَقُ عليهم الأموال بمصر فما بالنا بما كان يُغْدَق على علمائها.

وما نصل إلى أواخر اقرن الثالث حتى تكون مصر قد نشرت مذهب الشافعي في خراسان عن طريق أبى بكر بن إسحاق النيسابوري ومحمد بن نصر وأيضاً عن طريق عبدان المروزي الذي تفقه على المزنى والربيع بن سليمان، ويقول السيوطي إنه هو الذي أظهر مذهب الشافعي في خراسان [٢٦]. وظلت مصر منذ هذا التاريخ من أهم بيئاته. ومن أهم تلاميذ أصحاب الشافعي المصريين أبو القاسم الأنماطي عثر بن سعيد المتوفى سنة ٢٨٨ وفيه يقول السبكي: هو الذي اشتهرت به كتب الشافعي ببغداد، وعليه تفق شيخ المذهب هناك وحامل لوائه في بغداد والعراق أبو العباس بن سريج [٢٧]. أما الشام فحمل إليها المذهب عن تلاميذ الشافعي أبو زرعة محمد بن عثمان المتوفى سنة ٣٠٢ إذ أدخله إلى دمشق وولى قضاءها، ولم يتوله بعده لا في الشام ولا في مصر إلا شافعي المذهب حتى عصر الظاهر بيبرس [٢٨]. وأما الحجاز فيقول السبكي عنها إنها لم تبرح منذ ظهور مذهب الشافعي وإلى يومنا هذا في أيدي الشافعية: القضاء والخطابة والإمامة بمكة والمدينة [٢٩]. ويمضى السبكي قائلاً إن أهل اليمن شافعية إلا أن يكونوا زيديين،

---

(٢٥) معجم الأدباء ١٨/ ٤٦ وحسن المحاضرة ١/ ٣١٠.

(٢٦) حسن المحاضرة ١٣٤٩.

(٢٧) السبكى ٢/ ٣٠١ وانظر ٣/ ٢١.

(٢٨) السبكي ٣/ ١٩٧ وحسن المحاضرة ١/ ٣٩٩.

(٢٩) السبكي ١/ ٣٢٧.

obeikandl.com

ويذكر أن مذهب الشافعي شاع في فارس، وأما أذربيجان فلا تعرف سواه. وكل ذلك بفضل تلاميذ الشافعي المصريين الذين قاموا على مذهبه خير قام واستطاعوا نشره في القرن الثالث عن طريق تلاميذهم حتى أقصى المشرق.

وتمضي مصر في العناية بالدراسات الدينية لعهد الإخشيديين في القرن الرابع ويور هذا من بعض الوجوه ما رواه ابن سعيد من أنه كان في جامع عمرو للمالكيين خمس عشرة حلقة وللشافعيين مثلها ولأصحاب أبى حنيفة ثلاث حلقات [٣٠] ومعروف أن مصر كانت ملكية حتى قدوم الشافعي، فاقتسم مصر مذهُبه والمذهب المالكي، ولم يكن للمذهب الحنفي أتباع لا بعض من كان يتولى القضاء بها لعهد بنى العباس، ولا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة.أما جمهور القضاء فكان من المالكية، حتى إذا كنا في أواخر القرن الثالث الهجري انتقل القضاء من أيديهم نهائياً إلى الشافعية كما مر بنا آنفا في حديث السبكي. وأتيح للمذهب الحنفي إمام مصري كبير من أئمته هو أبو جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ فهيأ له بمصر حياة لم تكن له من قبل، وهى التي أتاحت لقيام الحلقات الثلاث التي يُدْرَس فيها الفقه الحنفي كما ذكر ابن سعيد. وتأخذ الدراسات اللغوية والنحوية في النمو بمصر منذ عهد الدولة الطولونية ويؤمها الأخفش الصغير تلميذ المبرد، ويظل هذا النمو مطردا في زمن الدولة الإخشيدية، ويقصدها الطلاب المغاربة والأندلسيون ويحملون عنها المعاجم وكتاب سيبويه وغير ذلك من كتب اللغة والنحو.

---

(٣٠) المغرب لابن سعيد (قسم الفسطاط) ص ١٧٣.

obeikandi.com

وعملت الدولة الإخشيدية على إنا الحركة العلمية وساعدها على ذلك أنه كان يضطلع بالوزارة لها مدة متطاولة جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف باسم ابن حِنْزابة وكان يُغدْق على العلماء ويجزل صلاتهم، فقصده الأفاضل- كما يقول ابن خلكان- من البلدان الشاسعة، وكان من حفاظ الحديث النبوي وكان له مجلس في المسجد يمليه فيه على الناس، وعُنى بتأليف مسند خاص به، وإليه رحل الدَّارَقُطْنِيّ على بن عمر اكبر محدثي العراق في عصره، وأعانه في تأليف مسنده مع من كان عُينه فيه من المصريين وأقام لديه مدة، وبالغ ابن حنزابة في إكرامه، وأنفق عليه نفقة واسعة وأعطاه شيئاً كثيرا وحصل له بسببه مال وفير [٣١].

وظل ابن حِنْزابة يقول الحركة العلمية بمصر طوال وزارته وقد امتدت نحو عشرين عاما من أيام كافور إلى قرب انتهاء الدولة الإخشيدية، وطبيعي ومثله يقوم على ذلك أن تمضى في النمو والنشاط. وممن نزل مصر حينئذ المسعودي على بن الحسين المؤرخ المشهور. ومنها ذاعت كتبه التاريخية وفي مقدمتها كتابه مروج الذهب، وظل مقيما بها حتى لبَّى نداء ربه سنة ٣٤٥ وقيل بل سنة ٣٤٦.

وتزداد الحركة العلمية نمو ونشاطا في زمن الدولة الفاطمية، إذ عمل الخلفاء الفاطميون ووزراؤهم على دَفْع هذه الحركة دفعا قويا، وما تكاد تمضى سنوات في عهد هذه الدولة حتى نجد الخليفة العزيز (٣٦٦-٣٨٦هـ) يرسم راتبا لسبعة وثلاثين من الفقهاء ويبنى لهم دارا بجوار الجامع الأزهر [٣٢]الذي كانوا يتخذوه مقرا لدعوتهم

---

(٣١) ابن خلكان ١/ ٣٤٧، ٣/ ٢٩٨.

(٣٢) صبح الأعشى ٣/ ٣٦٣ والخطط ٣/ ١٥٧، ٢٧٥.

obeikandi.com

الإسماعيلية. ولا نعرف هل كان الفقهاء جميعا إسماعيلية أو كان بينهم نفر من أهل السنة، على أننا نجد أبنه الحاكم يسند لى فقيهين مالكيين التدريب في هذا الجامع [٣٣]، مما يدل على أنه تحول سريعا إلى جامعة كبرى للدراسات الدينية واللغوية. وفي أخبار وزير العزيز ابن كلس أنه كان يجرى بأمره ألف دينار شهريا على جماعة من أهل العلم والوراقين والمجلدين [٣٤]، مما يدل على أنه نشأت حينئذ حركة علمية كبرى لا لدراسات العلمية فحسب، بل أيضاً لنسخ المخطوطات في مختلف العلوم والآداب. وأكثر دلالة على ذلك ما يُرْوَى من أن العزيز عُنى بإنشاء مكتبة في القصر، كان يها ما يزيد على مائة ألف مجلد، وفي رواية على مائتي ألف [٣٥]، وكان أمنية القائم عليها الشابشتي [٣٦]على بن محمد صاحب كتاب الديارات، ويقال إنه كان بها أكثر ن ثلاثين نسخة من معجم العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد، وأكثر ن عشرين نسخة من تاريخ الطبري، ومائة نسخة من معجم الجمهرة لابن دريدْ. وما زال العزيز يُعْنَى بهذه المكتبة هو ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين، حتى قيل إنها أصبحت أربعين خزانة مَلأْي بنفائس المجلدات في الحديث النبوي والفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة والتاريخ وعلوم الأوائل، ويقال إنه لم يكن في العالم دار كتب تماثلها وأنها كانت من عجائب الدنيا. وعلى الرغم من بيع بعض مصاحفها وكتبها في أيام المجاعة الهائلة لزمن المستنصر فإنها ظلت زاخرة

(٣٣) النجوم الزاهرة ٤/ ١٧٨.

(٣٤) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم ميتز ١/ ٢٥٠ نقلا عن يحيى بن سعيد الأنطاكى.

(٣٥) النجوم الزاهرة ٤/ ١٠١ والخطط ٢/ ١٢٨.

(٣٦) ابن خلكان ٣/ ٣١٩.

obeikandl.com

بالكتب، حتى يقال إن صلاح الدين أهدى وزيره القاضي الفاضل منها مائة ألف مجلد أودعها مدرسته الفاضلية، وظل ابن صورة دلال الكتب يبيع منها للناس مرة من السنين [٣٧]. وكانت هذه المكتبة الضخمة تعد أما لمكتب القاهرة والفسطاط جميعا، فقد كانت تلحق بكل جامع خزانة للكتب، وكان الفاطميون يمدونها من حين إلى حين بما يلزمها من المصنفات، يدل على ذلك- من بعض الوجوه- ما يروى عن الحاكم من أنه أنزل من القصر إلى الجامع العتيق: جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ١٢٩٨ مصحفا وإلى جامع ابن طولون ٨٠٠ مصحف كان منها ما هو مكتوب بالذهب [٣٨]. وإنما تصور على إنزال المصاحف لجلالها، ولابد أنهم أنزلوا معها كثيرا من الكتب. ونفس مكتبة القصر كان يختلف إلى خزائنها الخارجية العلماء والطلاب للقراءة والنسخ منها والإطلاع.

وتؤسس في سنة ٣٩٥ جامعة كبرى تسمى دار العلم، حُمل إليها من خزائن القصر كتب كثيرة تحتوى على سائر العلوم الإسلامية والآداب والفلسفات وعلوم الأوائل، يقول المقريزي "حضرها الناس على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ونهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم، وجُعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والورق والأقلام والمحابر ". وكانت بها دروس للمحدثين والقراء والفقهاء وأصحاب النحو واللغة والمنجمين والأطباء والمتفلسفة، وكل هؤلاء كانت تجرى عليهم وعلى الطلاب الرواتب. وما تدخل سنة ٤٠٠ حتى يكتب الحاكم وقفيه كبيرة

(٣٧) انظر فى هذه المكتبة وكل ما ذكرت عنها الخطط ٢/ ١٢٧ وما بعدها.

(٣٨) الخطط ٣/ ١٤٦، ١٦٣.

obeikandl.com

للإنفاق منها على دار العلم وعلى الجوامع الكبرى، وخص الفراشين والحُصْر والحبر والورق والأقلام في دار العلم بمائتين وسبعين دينارا سنوياً. ومن المؤكد أن الحاكم كان يبتغي بهذه الجامعة أن تكون مركزًا للدعوة للعقيدة الإسماعيلية بدليل أنه جعل رئيساً لها أحد دعاتها من بيت النعمان وهو عبد العزيز بن محمد بن النعمان، ويبدو أنه وجد في ذلك ما يهدد بثورة أهل السنة المصريين، فأضاف إلى علمائها الإسماعيليين من أصحاب نحلته طائفة من فقهاء أهل السنة ومحدثيها وعلى رأسهم عبد الغنى بن سعيد الفقيه الشافعي المشهور وأكبر حفاظ الحديث المصريين في زمنه. وما زالت هذه الجامعة ناهضة بالحركة العلمية في القاهرة حتى عهد الأفضل بن بدر الجمالي إذ رأى إغلاقها، لنشوب جدل عنيف بها فيما صنع من جَعْل المستعلي بالله الخليفة الفاطمي بعد أبيه المستنصر دون أبيه نزار الذي كان يكبره، وخشى من ذلك حدوث ثورة، غير أن النزارية لم يلبثوا أن قتلوه، وقيل بل قتله الآمر بن المستعلي. غير أن الجامعة أو دار العلم لم تلبث أن أعيدت سنة ٥١٧ بعد نقلها إلى دار جديدة ظلت فيها حتى نهاية الدولة الفاطمية. (٣٩)

وإذا كان فقهاء الدعوة الإسماعيلية استغلوا الجامع الأزهر ودار العلم في أول تأسيسها لنشر الدعوة الإسماعيلية فإن الجامع العتيق جامع عمرو بن العاص في الفسطاط ظل مركزاً لدراسات أهل السنة. ولابد أن نلاحظ أن القاهرة حين أسست إنما كانت مسكنا للخلفاء الفاطميين وحواشيهما من رجال الدولة وجنود الجيش القادم معها من المغرب، بينما كانت الفسطاط حينئذ مسكن المصريين، كما كان شأنها قبل

(٣٩) انظر فى دار العلم القديمة والجديدة الخط ٢/ ١٩٤، ٢١٨.

obeikandl.com

دخول الفاطميين، وكان مسجدها جامعة كبرى للدراسات السنية. ويذكر المقدسي الذي زارها سنة ٣٧٥ أنه رأى في جامع عمرو بها بين العشاءين مائة مجلس وعشرة [٤٠] للقراء والدراسات لسنية. ومع ذلك كان فقهاء الدعوة الإسماعيلية يتراءون فيه ويفتون الناس أحياناً [٤١]، كما أخذ أهل السنة بدورهم يحاولون الإملاء وإلقاء المحاضرات في الجامع الأزهر، ولم يجد الحاكم بُدًّ- كما مر بنا- من أن يعين في الأزهر وفي دار العلم بعض أهل السنة، من المحدثين والفقهاء.

ولعل في ذلك ما يخفف حدة القول بأن الفاطميين كانوا يضطهدون فقهاء أهل السنة ويحاربونهم، ويذكرون في هذا الصدد الاعتداء في سنة ٣٨١ أي لعهد العزيز على رجل وُجد عنده موطَّأ الإمام مالك [٤٢]، وقد يكون السبب أن الرجل تعرض للدعوة الإسماعيلية بالسب والثلب. ويذكرون أن الحاكم أراق دماء نفر من فقهاء أهل السنة، وكان فيه سفه وخبل، فلم يرق دماءهم وحدهم، بل أراق أيضاً دماء كثيرين من الدعاة الإسماعيليين ورجال الدولة. وكان بيت النعمان أهل البيوت المغربية في نصرتهم والتأليف في عقيدتهم الفاسدة، ومع ذلك قتل الحسين بن على بن النعمان كبير قضاته، وولى بعده ابن عمه عبد العزيز الذي أقامه رئيساً لدار العلم، كما مر بنا، ولم يلبث أن قتله سنة ٤٠١ وولى بعده مالك بن سعيد الفارقي، ولم يلبث أن سفك دمه [٤٣]. وإذن

---

(٤٠) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (طبع ليدن) ص ٢٠٥.

(٤١) ابن خلكان ٧/ ٣٠ وانظر الخطط ٣/ ٣١.

(٤٢) الخطط ٣/ ٢٧٥.

(٤٣) المغرب لابن سعيد (قسم القاهرة) ص ٣٦٦.

obeikandl.com

فتقل الحاكم لجماعة من أهل السنة ليس دليلاً كافياً على اضطهاد الفاطميين لهم إذ كان لا يبقى ولا يذر من كبار دعاته وقضاته ورجال دولته الإسماعيليين.

ومما يذكر من اضطهاد الفاطميين لفقهاء أهل السنة أن الخليفة الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ) أمر بطرد[٤٤] الفقهاء المالكية من مصر أي الفسطاط سنة ٤١٦. وينقض هذا الخبر كتاب رواه عنه صاحب النجوم الزاهرة حمل فيه حمل شعواء على من يؤلهون عليا وأباه الحاكم، وفيه يقول: "قالوا في آبائنا وأجدادها منكرا من القول وزورا، ونسبونا بغلوهم الأشنع، وجهلهم المستفظع إلى ما لا يليق بنا ذكره، وإنا لنبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفرة الضُّلاَّل "[٤٥]. ومثله لا يضطهد المالكية ولا ينفيهم من البلاد. وكان لا يزال بمصر في عهده عد الوهاب بن على البغدادي المالكي أحد الأئمة المالكية المجتهدين في المذهب، نزل مصر لضيق حاله ببغداد وتوفي بها سنة ٤٢٢ يقول السيوطي: "أكرم بمصر وتمول وسعد جدا، ومرض فكان يقول في مرضه: لا غله غلا الله عندما عشنا متنا [٤٦]". فمصر في عهد الخليفة الظاهر وقبله وبعده كانت لا تزال مركزا كبيرا للإشعاع العلمي والدراسات الدينية، ينزلها العلماء ليشاركوا في نهضتها العلمية، وينزلها طلاب العلم ليزودوا منها خير زاد. ونضرب مثلا بمكي بن أبى طالب القيسي القيرواني المتبحر في القراءات المتوفى سنة ٤٣٧ والمولود سنة ٣٥٤ فقد جاءها يطلب العلم فيها سنة ٣٦٧ ثم عاد إليها سنة ٣٧٤ ورجع إلى بلده ثم عاد سنة ٣٧٧

---

(٤٤) الخطط ٣/ ٣١.

(٤٥) النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٩.

(٤٦) حسن المحاضرة ١/ ٣١٤.

obeikandi.com

لأخذ القراءات عن شيوخها ورجع إلى القيروان سنة ٣٨٠ ثم عاد سنة ٣٨٢ لاستكمال القراءات، ومضى بعد سنوات إلى جامع قرطبة بالأندلس يقرئ فيه الناس [٤٧]. ومثله أبو عمر والداني الأندلسي نزل مصر سنة ٣٩٧ وحمل القراءات عن أساتذتها وهو في الخامسة والعشرين من عمره [٤٨]. فهذان عالمان سُنِيان جليلان نزلا مصر لعهد العزيز والحاكم على الترتيب ووجدا فيها ما يكفل لهما الإقامة بها والعيش فيها.

وممن نزل مصر من كبار المحدثين النقاش الحافظ المتوفى سنة ٣٦٩ وأبو سعيد الماليني المتوفى سنة ٤١٢ وأبو نصر السجزي المتوفى سنة ٤٤٤ ونزلها في العقد الثاني من القرن السادس أكبر حفاظ الحديث في عصره. الإمام السِّلْفي. ونزلها من كبار فقهاء الشافعية أبو العباس الدَّيبلي المتوفى سنة ٣٧٣ وأبو الحسن الحلبي المتوفى سنة ٣٩٦ وأبو الفضل البغدادي المتوفى سنة ٤٤١ وأبو القاسم العراقي المتوفى سنة ٤٧٧ وأبو الفتح المقدسي المتوفى سنة ٥١٨، ونزلها من فقهاء المالكية الأبهري الصغير وعبد الله بن الوليد الأندلسي المتوفى سنة ٥٢٥ وأبو العباس الفاسي [٤٩] المتوفى سنة ٥٦٠.

وإذا كان هؤلاء العلماء والطلاب الوافدون وجدوا في مصر مستقرا لهم ومقاما فأولى أن يجد ذلك أبناؤها، وأيضًا فإن وراءهم كثيرين من محدثي مصر وفقهائها الشافعيين والمالكيين والقراء يُعَدُّون بالعشرات على طول السنوات في عهد الدولة

---

(٤٧) ابن خلكان ٥/ ٢٧٤.

(٤٨) معجم الأدباء ١٢ / ١٢٦ وكان أستا الدانى فى القراءات هو نفسه أستاذ مكى: عبد المنعم بن غلبون الحلبى نزيل مصر.

(٤٩) راجع فى هؤلاء الفقهاء والمحدثين حسن المحاضرة للسيوطى وما به من أثبات خاصة بهم فى جزئه الأول.

obeikandl.com

الفاطمية، مما يؤكد أن الفاطميين لم يعلنوا معارضة هذه الدراسات، بل لعلهم كانوا يشجعون كثيرين من أهلها ومن الوافدين عليهم، حتى ليقول نزيلها الإمام عبد الوهاب المالكي قولته السالفة: "عندما عشنا متنا". ولعلنا لسنا في حاجة إلى كل هذه الأدلة لنبرهن على أن الفاطميين لم يقفوا حجر عثرة ضد نشاط أهل السنة ومذهبي الفقه الشائعين حينئذ في مصر: المذهب الشافعي والمذهب المالكي فإن القلقشندي يشهد لهم بذلك شهادة بَيِّنة إذ يقول عنهم: "كانوا يتألفون أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على خلاف معتقدهم.. ومذاهب مالك والشافعي وأحمد (بن حنبل) ظاهرة الشِّعار في مملكتهم بخلاف مذهب أبى حنيفة، ويراعون مذهب مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه[٥٠]". وهو محق في مذهب أبى حنيفة إذ لم يكن له نشاط بمصر في عهد الفاطميين، أما مذهب ابن حنبل فغير محق في إثبات نشاط له حينئذ إذ كان نشاطه مثل نشاط مذهب أبى حنيفة يكاد يكون معدوما.

على كل حال هذه شهادة صريحة للفاطميين بأنهم كانوا يترضَّوْن أهل السنة، وحقا حين دخلوا مصر أسندوا وظيفة قاضي القضاة إلى النعمان فقيههم وتوارثها بعده بعض أبنائه وأحفاده، ثم ولوها بعض شيعتهم. ويبدو أنهم أخوا في عصر المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ) يتركون هذه السياسة، إذ عيَّنوا على رأس القضاة شافعيا هو أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي أحد أئمة زمنه المتوفى سنة ٤٥٤. ويبدو أن كثيرين من القضاة[٥١]

---

(٥٠) صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٥٢٠.

(٥١) المغرب (قسم القاهرة) ص ٣٦٧ وانظر حديث السيوى فى كتابه حسن المحاضرة عن فقهاء الشافعية

obeikandi.com

الفرعيين في الإسكندرية وغيرها كانوا شافعيين أو مالكيين. ويتولى الوزارة بدر الجمالي (٤٦٨ – ٤٨٧هـ) ثم ابنه الأفضل (٤٨٧-٥١٥) ويصبحان ولي الأمر ويحجران على الخلفاء وكانا لا يعارضان أهل [٥٢] السنة ولا يتعصبان ضدهم. وحين يتولى أحمد الأفضل حفيد بدر الوزارة يعين أربعة قضاة: شيعيا إسماعيليا وشيعيا إماميا ومالكيا وشافعيا [٥٣]. ويظهر أن هذا أصبح تقليدا من صنع أحمد الأفضل ها الصنيع سنة ٥٢٥.

وينزل في الإسكندرية السِّلْفي أكبر حفاظ الحديث في العصر ويأخذ في إملائه، ويتوافد عليه الطلاب من مصر وغير مصر، ويتولى الإسكندرية العادل بن السلار في عهد الحافظ (٥٢٤-٥٤٣هـ) وكان شافعي المذهب مثل السلفي فاحتفل به وزاد في إكرامه وبنى له مدرسة فوَّض تدريسها إليه، يقول ابن خلكان: وهي معروفة باسمه إلى الآن أي في زمنه [٥٤]. وفي صبح الأعشى سجلٌّ بإسناد هذه المدرسة إلى الفقيه السلفي والقيام على نفقة من فيها من القراء والفقهاء والمرابطين والصلحاء وطلبة العلم من أهل الإسكندرية ومن الواردين إليها والطارئين عليها سواء كانت النفقة نقدا أو غلة، مع بيان أنه أُعدّ لهم جميعا فيها المثوى والمسكن. وبذلك يكون ما ذكره المقريزي وغيره من أن المدارس لم تعرف في مصر إلا في عهد صلاح الدين غير صحيح [٥٥]. فقد كانت بها

في زمن الفاطميين١/ ٤٠٤ وما بعدها.

(٥٢) المغرب ص ٢١٦.

(٥٣) أخبار مصر لابن ميسر ص ٧٥.

(٥٤) ابن خلكان ١ / ١٠٥.

(٥٥) الخطط ٣/ ٣١٥ وانظر حسن المحاضرة ٢ / ٢٥٦.

obeikandl.com

مدرسة السلفي المذكورة، وكانت مدرسة سنية شافعية. ونفس دار العلم يمكن أن نعدها مدرسة بالمعنى الكبير إلى كان لنظامية بغداد، إ كانت مؤسسة علمية كبرى.

وكانت الدولة الفاطمية قد انتهت إلى انحلال وفساد شديد وأخذ الظلام يعم ديارها في مصر والشام. وفي غفلة من الزمن يستولى حملة الصليب على بيت المقدس وساحل الشام على نحو ما مر بنا في الفصل الماضى، ويستغيث الفاطميون بنور الدين صاحب حلب، ويرسل إليهم بجنود على رأسها أشد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين، وتتطور الظروف سريعا، وينهى صلاح الدين حكم الفاطميين ويقبض على صولجان الحكم، ويكاد يقضى على الصليبيين في الشام إلا قليلا ويستولى على بيت المقدس وتتكاثر فتوحاته، ويحقق للعرب والمصريين الزعيم المنتظر لتخليص البلاد من حملة الصليب. وعلى نجو ما قاد هذه الفتوح قاد نهضة علمية رائعة، إذ كان محبا للدراسات الإسلامية شغوفا بها وخاصة بالحديث النبوي مما جعله ينزل الإسكندرية ليتلقاه على السلفي أكبر حفاظه في عصره. وكان يستمع إلى الفقهاء ويُرْوَى أنه تلقى على بعض الشيوخ موطأ مالك برواية فقيه الإسكندرية الطرطوشي المالكي [٥٦]، بينما كان السلفي شافعيا، وكان صلاح الدين نفسه شافعي المذهب. ولعل في ذلك ما يفسر اهتمامه بفقهاء المذهبين، بل لقد ضم إليهم أيضا فقهاء المذهب الحنفي، فإذا هو ينشئ خمس مدارس بالقاهرة والفسطاط، أنشأ اثنتين منها في أثناء وزارته للعاضد آخر

(٥٦) انظر فى ذلك ابن واصل فى كتاب مفرج الكروب فى تاريخ بنى أيوب ١/ ١٩٥ وما بعدها وكان يرحل بولديه: العزيز والأفضل سلطانى مصر ودمشق بعده للسماع من السلفى وفقهاء الإسكندرية، انظر حسن المحاضرة ٢/ ١٩.

obeikandi.com

الخلفاء الفاطميين سنة ٥٦٦: مدرسة لفقهاء الشافعية بجوار جامع عمرو سميت مدرسة ابن زين التجار باسم الشيخ إلى فوض إليه تدرس الفقه الشافعي بها ثم عُرفت باسم المدرسة الشريفية، ومدرسة لفقهاء المالكية بالقرب منها سميت المدرسة القمحية للقمح الذي كان يأتيها من ضيعة بالفيوم وقفها عليها صلاح الدين، حتى إذا استولى على مقاليد الحكم بمصر أنشأ ثلاث مدارس اثنتين للشافعية إحداهما بجوار مسجد الشافعي والثانية بجوار مشهد الحسين، أما الثالثة فجعلها للحنفية وسميت السيوفية [٥٧]. والمهم أنه رتَّب لكل هذه المدارس الأساتذة والمدرسين والمعيدين، فقد كان نظام الإعادة معروفًا حينئذ، ورتَّب لها أيضا الأئمة والمؤذنين والقَومَة والطلاب، وجعل لكل مدرسة أوقافها الخاصة للإنفاق المستمر عليها في حياته وبعد وفاته، وألحق بكل مدرسة مساكن للمعلمين والطلبة. وكأن كل مدرسة كانت تشبه كلية من كليات الجامعات في عصرنا، فمع كل مدرسة مساكنها وميزانيتها للإنفاق اليومي والشهري عليها.

وبذلك تبدأ مصر دورة علمية كبيرة في عهد الدولة الأيوبية لا في عهد صلاح الدين وحده، بل أيضا في عهد من خلفوه من الأيوبيين، إ كانوا في جملتهم علماء، وكذلك كان وزراؤهم وأمراؤهم منذ عهد صلاح الدين نفسه، ولكثيرين منهم مدارس أنشأوها في الفسطاط والقاهرة عدَّدها المقريزي- والطريف أنه اشترك معهم في إنشائها بعض التجار- وقد بلغ بها خمسا وعشرين مدرسة [٥٨]. ويبدو أن إحصائيته غير كاملة، فإنه لم

(٥٧) ابن خلكان ٧/ ٢٠٦ وقارن بحديث المقريزى عن المدارس فى الجزء الثالث من الخطط.

(٥٨) انظر حديث المقريزى فى ذلك بالخطط ٣/ ٣١٣ وما بعدها.

obeikandi.com

يقف عند مشهد الحسين وقفةً توضح أنه كان مدرسة كبقية المدارس. ونستطيع أن نميز بين هذه المدارس ثلاث مدارس للفقه الشافعي وراء المدارس التي أنشأها صلاح الدين، إحداها أنشأها ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه وسميت مدرسة منازل العز وهو اسم المنازل التي أقيمت فيها وكان مما وقفه عليها جزيرة الروضة المعروفة الآن بالقاهرة والثانية المدرسة الشريفية بناها أحد أمراء الدولة الأيوبية سنة ٦١٢. والثالثة المدرسة الفائزية بناها الوزير الفائزي سنة ٦٣٦. وبالمثل نستطيع أن نميز للفقه المالكي بجانب المدرسة القمحية التي أنشأها له صلاح الدين المدرسة الصباحية التي بناها له الصاحب ابن شكر وزير السلطان العادل. وأيضاً نستطيع أن نميز للفقه الحنفي بجانب المدرسة السيوفية التي أنشأها صلاح الدين مدرستين إحداهما سميت الأزكشية بناها أحد الأمراء، والثانية سميت العاشورية أنشأتها إحدى كريمات الأمراء. وهناك مدارس بنيت لأصحاب الفقه الشافعي والمالكي مثل مدرسة القاضي الأفضل، وأخرى بنيت للفقه الشافعي والحنفي مثل المدرسة القطبية التي أنشأتها السيدة مؤنسة ابنة السلطان العادل. ويبنى السلطان نجم الدين أيوب بأخرة من زمن هذه الدولة سنة ٦٤١ مدرسة كبرى للمذاهب الأربعة: مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، وهى أول مرة أو أول مدرسة تعنى فيها مصر بدراسة الفقه الحنبلي. وينشئ السلطان الكامل سنة ٦٢٢ أول مدرسة تعنى بالحديث النبوي تسمى دار الحديث الكاملية نسبة إليه. ويلاحظ ابن خلكان ومن بعده ابن تغرى بردى أن جميع المدارس

obeikandl.com

التي أنشأها صلاح الدين لم تسم منها مدرسة باسمه، مع ما رتب لها من الأوقاف العظيمة، ومع ما كان له من الفتوحات الكبيرة [٥٩].

وهذه المدارس جميعاً كانت تعنى بالدراسات الإسلامية من الحديث والتفسير والقراءات، وبالدراسات اللغوية من النحو وغير النحو وكلك الدراسات البلاغية، لأن الفقيه في أي مذهب لا يتم تكونه إلا مع إتقانه هذه الدراسات. وأهمل صلاح الدين وخلفاؤه الجامع الأزهر لأنه كان مركز الدعوة الإسلامية، غير أن الجوامع الأخرى والمساجد الكبرى ظل بها بعض النشاط العلمي، وكان صلاح الدين ينفق عليها وعلى علمائها وطلابها كما كزان ينفق على مدارسه السالفة، وفي ذلك يقول ابن جبير الذي زار القاهرة والفسطاط لعهده سنة ٥٧٨: "ما من جامع من السلطان (صلاح الدين) يعم جميع من يأوي إليها ويلزم السكنى فيها، تهون عليه في لك نفقات بيوت الأموال [٦٠]".

وكانت الإسكندرية في عهد الفاطميين مثل الفسطاط مركز لدراسات أهل السنة، وقد بنى فيها ابن السلار- كما أسلفنا- مدرسة فوض الإشراف عليها للحافظ السلفي الشافعي، ويبدو أن صلاح الدين انشأ في الإسكندرية مدارس جديدة كما يفهم من كلام ابن جبير إذ يقول: "ومن مناقب هذا البلد (الإسكندرية) ومفاخرة العائدة في الحقيقة إلى سلطانه (صلاح الدين) المدارس والحارس الموضوعة فيها لأهل الطلب والتعبد، يفدون من الأقطار النائية، فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه ومدرسا

(٥٩) ابن خلكان ٧/ ٢٠٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٥٥.

(٦٠) رحلة ابن جبير (بع لديه) ص٥٢.

obeikandl.com

يعلمه الفن الذي يريد تعلمه وإجراء يقوم به في جميع أحواله [٦١]. وأخذت المدارس تعم مدن مصر الكبرى بينها ولاة صلاح الدين عليها ومن جاءوا بعده، وأيضا أمراء بيته، مع ذلك أن تقي الدين عمر بن شاهنشاه أبن أخيه بنى في الفيوم مدرستين إحداهما للشافعية والثانية للمالكية [٦٢]. وتأسست بأسوان مدرسة مبكرة [٦٣]. وأنشأ ان هبة الله حاكم قوص سنة ٦٠٧ المدرسة النجيبية [٦٤] بها. ويبدو أنه لم تكد تخلو بلدة كبيرة في مصر لعهد الأيوبيين من مدرسة. وكانت بها جميع الجوامع والمساجد، واشتهرت الإسكندرية منذ العصر الفاطمي بجامع العطارين الذي بناه بدر الجمالي، وظل به نشاط علمي وافر زمن الأيوبيين. وبالمثل كانت الجوامع الكبرى في دمياط والمحلة وطنطا والمنيا وأسيوط وقوص وإسنا، إذ نقرأ في كتب التراجم منحين لأخر عن علماء كانوا يعنون في هذه البلدان بدراسات الفقه والحديث والقراءات.

وتنشأ- بجانب المدارس السالفة- مدارسة كثيرة في عهد المماليك، وبعددها المقريزي ويلك تاريخ إنشاء والأوقاف التي رصدت لها، وتبلغ عنده نحو خمس وأربعين مدرسة،بناها سلاطين المماليك وأمراؤهم وأحيانا بعض نسائهم وأمهاتهم، وقد عد للشافعية منها أربعة: المدرسة [٦٥] الطيبرسية والحسامية والسابقية والمجدية الخليلة، وللحنفية ثلاثا: الغزنوية والجمالية والمهمندارية. ومدارس مختلفة بنيت لمذهبين

---

(٦١) ابن جبير ص ٤١ وما بعدها.

(٦٢) ابن خلكان ٣/ ٤٥٦.

(٦٣) الطالع السعيد للإدفوى (طبع مطبعة الجمالية) ص ٨٥.

(٦٤) الطالع السعيد ص ٢٢٠.

(٦٥) أنظر يا بل من حيثعن هذه المدارس خطط المقريزى ٣/ ٣٤٠ وما بعدها.

obeikandl.com

مثل المدرسة الحجازية والمسلمية وهما للشافعية والمالكية، ومثل المنكوتمرية للمالكية والحنفية. وبنيت للمذاهب الأربعة مدارس مختلفة مثل المدرسة المنصورية للمنصور قلاوون والناصرية لابنه محمد الناصر.

ويقول ابن بطوطة الذي زار القاهرة والفسطاط سنة ٧٢٦ لعهد محمد الناصر بن قلاوون:

"أما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها". وظلت المدارس تتكاثر بعد زيارته لمدة نحو قرنين من الزمان طوال عصر المماليك. ولن نستطيع الوقوف عند جميع هذه المدارس لمعرفة نشطاها العلمي ونكتفي منها بثلاث هي المدرسة الظاهرة للظاهر بيبرس والمنصورية للمنصور قلاوون والناصرية لابنه الناصر. أما الظاهرة [٦٦] فتم إنشاؤها لأوائل عهد المماليك سنة ٦٦٢ وقد جعلها الظاهر لتدريس الفقه الشافعي والحنفي وتدريس القراءات والحديث النبوي، وأجرى الرواتب على أساتذتها وطلابها والحق بها مساكن لهم كما ألحق بها مكتبة تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم وبنى بجانبها مكتبا لتحفيظ أيتام المسلمين كتاب الله وأجرى لن به من الأطفال الجِرايات والكُسْوة، وأوقف عليها الربع أو الحي المعروف اليوم باسم تحت الربع، وكان ربعا كبيرا مملوءة بالدور والحوانيت. أما المدرسة المنصورية [٦٧] فأنشأها السلطان المنصور قلاوون لأصحاب المذاهب الفقهية الأربعة سنة ٦٨٤ وجعل لكل مذهب

(٦٦) انظر فى هذه المدرسة الخطط ٣/ ٣٤٠.

(٦٧) انظر فى هذه المدرسة الخطط ٣/ ٣٤٢ والسلوك للمقريزى (طبعة القاهرة) ١/ ٧١٦ وما بعدها و١٠٠٠ وما بعدها.

obeikandi.com

مدرساً وثلاث من العيدين ومقرئا للذكر الحكيم وخمسين طالبا، وأجرى عليهم جميعا وعلى قومتها وفراشيها الراتب، وبنى بجوارها مكتبة لتحفيظ ستين من أيتام المسلمين القرآن الكريم، وأسند لفقهين القيام على ذلك مع إجراء الجرايات على الأيام والكسوة في الشتاء والصيف. وبنى تجاه المدرسة قبة عظيمة جعل فيها خمسين مقرئا ودرسا للحديث ودرسا للتفسير ومع المدرسين الطلاب وكلك مع المقرئين. وجعل فيها مكتبة كبيرة تشتمل على شتى أنواع العلوم والآداب، وجعل لها أمينا ومساعدين له وفراشين وبوابين. وحاكى الناصر أباه قلاوون فبنى مدرسة للمذاهب [٦٨] الأربعة سنة ٧٠٣ وجعل بها مكتبة جليلة ورصد لها أوقافا كثيرة. وبالمثل كان كل من يبنى مدرسة يقف عليها ما يحفظ لعملائها وطلابها نفقاتهم وكثيرا ما كانوا يحلقون بها مساكن لهم.

ولم تكن المدارس وحدها ساحات العلم لعهد المماليك، فقد كان يشركها الجوامع والمساجد. في مقدمتها الجامع الأزهر، وكانت قد تعطلت فيه الدارسة طوال عهد الأيوبيين كما عطلت فيه أحياناً صلاة الجمعة إلى أن أعادهما عز الدين الحلي نائب الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ فصلى فيه الجمعة ورتب فيه مدرسا للفقه الشافعي ومحدثا للإماء الحديث النبوي وسبعة لقراءة الذكرى الحكيم ورصد لذلك أوقافا وافرة [٦٩]. وسرعان ما خذ الأزهر دوره التاريخي العظيم، فإذا أكبر جامعة للدراسات الإسلامية واللغوية. ويشيد المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ بالدراسات في هذا الجامع أو الجامعة قائلاً: "لا يزال جامع الأزهر عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم:

---

(٦٨) الخطط ٣/ ٣٤٦.

(٦٩) الخطط ٣/ ١٦٠ والسلوك ١/ ٥٥٦ وما بعدها.

obeikandi.com

الفقه (على المذاهب الأربعة) والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر، فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله والارتياح وترويح النفسي ما لا يجد في غيره [٧٠]". واهتم به السلاطين والأمراء وأرباب الأموال، فُرصدت له أوقاف كثيرة على مر السنين. وزخر جامع ابن طولون بنشاط علمي جم منذ عهد السلطان المنصور لاجين [٧١] سنة ٦٩٤ فقد رتب فيه دروساً لإلقاء الفقه على المذاهب الأربعة ودرسا للتفسير ودرسا للحديث النبوي، والحق به مكتبًا لتحفيظ القرآن الكريم. وبالمثل عُنى بيبرس الجاشنكير بعمارة جامع الحاكم سنة ٧٠٣ ورتب [٧٢] فيه دروساً لإقراء الفقه على المذاهب الأربعة والحديث النبوي والقراءات، والحق به خزانة كتب نفيسة.

وهذا النشاط العلمي في مسجد القاهرة والفسطاط ومدارسهما كان يلتقي به نشاط مماثل في الإسكندرية ومدن مصر الكبرى. وهو النشاط كان يشرك علماء مصر في كثير من علماء البلاد العربية الأخرى التي أخذت تفسح لهم في دارسها، بل أخذت تضمن إلى صدرها، إذ شعرت بقوة أنها حاملة لواء العلم والفكر العربيين وأنه ينبغي أن تعمل بقوة لتحميهما إزاء غارات أعداء الإسلام على صقلية والأندلس وغارات حملة الصليب على الشام وأخيراً غارات التتار على إيران والعراق وديار الشام، بحيث أصبحت مصر منذ عهد صلاح الدين ملاذ الحضارة العربية وموئل علومها وفكرها وآدابها، وكأنما انتدبت نفسها لهذه المهمة الخطيرة، فهي تعنى عناية واسعة بإنشاء

---

(٧٠) الخطط ٣/ ١٦٣.

(٧١) الخطط ٣/ ١٤٨ وحسن المحاضرة ٢/ ٢٤٩.

(٧٢) الخطط ٣/ ١٦٥ ويقول المقريزى إنه رصد له أوقافا كثيرة فى الجيزة والصعيد والاسكندرية.

obeikandi.com

الدارس، وهى تستقبل علماء الأقطار العربية المذكورة وتسند إليهم كثيرا من المناصب العلمية، وأحياناً المناصب الوزارية، فقد كان على سبيل المثال لصلاح الدين وزيران: القاضي الفاضل والعماد الأصبهاني، والأول شامي والثاني عراقي الثقافة أصبهاني المولد. وأيضاً فقد نزلها كثيرون من علماء المغرب بسبب اختلال الحكم وضعف الحكومات. ومن يرجع إلى كتاب مثل حسن المحاضرة للسيوطى وما يذكر فيه- على الترتيب الزمني- من أسماء الأئمة المجتهدين وحفاظ الحديث النبوي وفقهاء الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة وأئمة القراء وعلماء النحو واللغة والتاريخ والصوفية والوعاظ وأصحاب علوم الأوائل من الطب وغيره يحيل إليه أنه لم تبق بلدة في العالم الإسلامي العربي إلا بعثت إلى القاهرة والإسكندرية بشيوخها وبطلاب العلم في هذه الحقب التي امتدت من الدولة الأيوبية سنة ٥٦٧ إلى نهاية عصر المماليك سنة ٩٢٢، بل ظلت من ذلك بقية في أيام العثمانيين.

ونهضت مصر بور مهم في حماية العلوم، فقدت رأت من واجبها أن تعنى بتدوين كل ما خلفه السلف خوفا من ضياعه، وخاصة أمهات التراث العربي وأصوله، وانتهجت لذلك نهجا سديدا في توثيق روايتها وأخذها عمن حرروا صياغتها وضبطها أدق ضبطن فهي لا تؤخذ من الصحف المكتوبة مباشرة بل تؤخذ سماعا عن الشيوخ الثقات ويرويها جيل عن جيل بمنتهى الدقة ولا يرويها إلا من شهد له شيخ بأنه جدير بروايتها، على نحو ما هو معروف في نظام الإجازات. ووضعت مصر لطلاب كل علم متونا، ووضعت عليها شروحا، وشرحت الشروح أحياناً، ونحن لا نقرؤها الآن حتى يروعنا أن علماءها كانوا في هذه الشروح لا يتركون لعالم سالف منذ القرن الثاني

للهجرة حتى زمنهم رأيا غلا دونوه، وبذلك تستحيل بعض الشروح وحواشيها إلى ما يشبه دوائر معارف في العلم الذي تتناوله، إذ تعرض فهيا آراء العلماء على اختلاف الأزمنة واختلاف البلدان العربية. وامتازت الحركة العلمية لعهد المماليك بكتابة دوائر معارف كبرى تجمع مواد فنون كثيرة، من ذلك كتاب نهاية الأرب للنويري المتوفى سنة ٧٣٣ وهو يتناول علوم الفلك والجغرافية والتاريخ الطبيعي والحيوانات والزواحف والطيور والصيد والنباتات والثمار والأزهار والإنسان وعاداته وطريق الحكم ووظائف الدولة وشئون السياسة وتاريخ الدولة العربية من أقم الأزمنة حتى زمن النويرى. ويُشبه هذه الدائرة كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ وهو في جغرافية العالم العربي والعلوم الطبيعية والحيوانية والنباتية وتاريخ الدولة العربية وأعلامها في الشعر وانثر على مر السنين. ومن كتب دوائر المعارف الأدبية كتاب "المستطرف في كل فن مستظرف" لمحمد بن أحمد الأبشيهي[٧٣] المتوفى سنة ٨٩٨ والكتاب موزع على ٤٨ باب في القرآن وفضله العقل والعلم والأدب والحكم والأمثال والبيان والبلاغة وسياسة الملك والعدل والشرف والجود والبخل والشجاعة والعمل والكسب والحيوانات والحشرات والبحار والأنهار والجبال وعجائب المخلوقات وغير ذلك.

ولعل في ذلك ما يصور خطأ الأحكام الجائرة التي صبت على مصر وخاصة أيام المماليك. إذ نعت المؤرخون للأدب العربي هذه الحقب المتطاولة بأنها كانت زمن انحطاط وركود في جميع جوانب الحياة العلية،وهو ما تنقضه الحقائق السابقة نقضا،

(٧٣) انظر فى الأبشيهى الضوء اللامع ٧/ ١٠٩.

obeikandi.com

وسيتضح هذا النقض بصورة أدق حين نعرف في الفصول التالية لوجوه النشاط العلمي، فسنرى أن مصر لم تشهد حقبا علمية مزدهرة بمقدار ما شهدت في زمن المماليك، وكان كثير منهم مثقفين مثل الأيوبيين، وعملوا على أذكاء النهضة العلمية بما أنشأوا من المدارس وما ألحقوا بها وبالمساجد من المكتبات وما رصدوا لها من أوقاف كثيرة للعلماء والطلاب حياة علمية خصبة.

ويكتب لهذه الحركة العلمية العظيمة أن تتوقف ويصيبها غير قليل من الخمود إذ احتلت جحافل العثمانيين مصر، وجردها السلطان العثماني الفاتح سليم من كثير من علمائها وقضاتها وحشدهم في السفن إلى عاصمته استانبول. وجرد بعض المدارس من أعمدتها ورخامها الملون وكتبها النفيسة، وما توافي سنة ٩٢٨ حتى تلغى وظائف قضاة المذاهب الأربعة التي كانت قائمة بالقاهرة منذ عهد الظاهر بيبرس ويحل ملهم قاضي العسكر. وكل ذلك عمل على انتكاس الحركة العلمية بمصر، ومع ذلك ظلت جذوات منها تنقد في الجامع الأزهر وفي بعض الدارس، إذ نسع في ترجمة هذا العالم أو ذاك أنه كان يدر في المدرسة السيوفية الحنفية التي أنشأها صلاح الدين أو في المدرسة الصالحين التي أنشأها السلطان الصالح نجم الدين أيوب أو في المدرسة الأقبغاوية التي أنشئت في عهد الناصر محمد بن قلاوون، وبذلك الجبرتي مدارس لم يذكرها المقريزي في خططه مثل المدرسة السنانية (٧٤)، ويردد ذكر القبطانية والجنبلاطية والأشرفية (٧٥)، وأكبر الظن أنها كانت مدارس ناشطة هي الأخرى.

---

(٧٤) تاريخ الجبرتى (طبعة بولاق) ١/ ١٦٢ و٢٢٠.

(٧٥) الجبرتى ١/ ٧٥، ٨٦، ٢٢٠.

obeikandi.com

ومع ما أصاب مصر وحركتها العلمية من الفتح العثماني الذي جثم على صدر البلاد وكان عاملا مهما في خمود الدراسات العلمية بها، فإن مصر ظلت ملاذا للعلماء من جميع الأقطار العربية من الخليج إلى المحيط، وظلت القاهرة موئلهم جميعا يفدون عليها للتعلم في الجامع الأزهر والاختلاف أحيانا إلى بعض المدارس، حتى إذا نضج أحدهم علميا أصبح شيخا يتحلق حوله التلاميذ في الجامع الأزهر أو في أحد جوامع القاهرة ومدارسها، وقد رجع إلى بلاده يعلم فيها ما تلقن على شيوخه في الأزهر، وكان قد أصبح منذ عصر المماليك أكبر جامعة إسلامية. ونذكر من مشهوريهم ابن طولون الدمشقي المؤرخ وعبد القادر البغدادي صاحب الموسوعة الأدبية المعروفة باسم خزانة الأدب والمقري التلمساني أكبر مؤرخي الأندلس، وبها الدين العامل صاحب الكشكول. وعربت مصر بعض الولاة العثمانيين وأحالته مؤلفا أدبياً مثل راغب باشا وإليها سنة ١١٦٠ وموسوعة "سفينة الراغب" مشهور. وقد ألف بالقاهرة الزبيدي اليمنى تاج العروس: شرحه على القاموس المحي للفيروزابادي. وبذلك ظلت مصر في العهد العثماني المظلم حامية للتراث العربي المتبقي بها وراعية لعلماء العالم العربي، بفضل مصابيح العلم التي كانت تضئ بها خاصة في الجامع الأزهر. ومازالت شهرته تدوي في العالم الإسلامي إلى اليوم، وجعل العثمانيون له رئيساً من كبار علمائه كانوا يسمونه شيخ الأزهر، ويعدد الجبرتي شيوخه من سنة ١١٠٠ للهجرة على أن ينتهي على الشيخ عبد الله الشرقاوي معاصر الحملة الفرنسية.

obeikandl.com

٢

علوم الأوائل- علم الجغرافيا

(١) علوم الأوائل

مر بنا في أول هذا الفصل أن مصر أسهمت في نشأة العلم بمعناه العالمي سواء العلم الهندسي أو الرياضي أو الطبي، وتشهد لها الأهرامات بما كان فيها من علم هندسي، وتشهد لعملها الرياضي [٧٦] برديات رياضية فرعونية مختلفة، وبالمثل تشهد للعلم الطبي برديات فرعونية تدل على أن الطب والتشريح بمعناهما العلمي العالمي نشآ في ديارها ورقيا رقيا بعيدا [٧٧].

وكان من الممكن أن تستمر صر في حركتها العلمية لولا ما دهمها من الغزو الأجنبي، واستطاعت أن تمصر البطالمة وأن تستعيد- كما أسلفنا- حركتها العلمية وإن اتخذت اليونانية لساناً لها، فنهضت بالإسكندرية عاصمتها حينئذ دراستها الهندسة والرياضة والفلك والطب، أما الهندسة فشاد صرحها أقليدس في القرن الثالث قبل الميلاد، مكونا بالإسكندرية مدرسة هندسية كان لها شأن عظيم، وقد ظلت تُدْرَسُ كتبه في العربية وفي أوربا حتى القرن الماضى [٧٨]، وأما الطب فشهدت الإسكندرية فيه نهضة

---

(٧٦) انظر العلم عند العرب لأندوميلى (ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ـ نشر الجامعة العربية ـ دار القلم) ص٣٣ وما بعدها.

(٧٧) الدوميلى ص٣٤ وما بعدها.

(٧٨) ألدوميلى ص ٤٣ وقصة الحضارة لول ديورانت (نشر جامعة الدول العربية) ٨/ ١٣٧.

obeikandi.com

كبيرة على يد هيروفيلوس وأضرابه، وقد اشتهر بتشريحه العين ووصفه للشبكية وأعصاب النظر وتشريح المخ وتحديد وظيفة الشرايين وغير ذلك من مباحث طبية [٧٩]. وغزوا مصر الرومان، كما أسلفنا، وظلت حركتها العلمية والفلسفية في النمو، كما ظلت الإسكندرية زعيمة العالم الهليني في العلوم. ومن أكبر علمائها حينئذ بطليموس المولود بالصعيد، غير أنه بارح مسقط رأسه مبكراً إلى الإسكندرية، حيث ظل يرصد الأجرام المساوية حتى منتصف القرن الثاني الميلادي، ولم يلبث أن سجل معلوماته الفلكية والرياضية والجغرافية في كتابه "النظام الرياضي للنجوم" وقد سماه العرب "المجَسْطي" أي الأعظم بنفس اللقب الذي وضعه له اليونان. وله كتب أخرى منها موجز جغرافي، وكان لبحوث المجسطي وغيره تأثير عظيم ف علم الهيئة والفلك والرياضيات عند العرب [٨٠]. ويلقانا هيرون، وهو أرشميدس صغير كما يقال، وله رسائل في الرياضة والطبيعة والميكانيكا ترجمت إلى العربية، وتاريخه غير معروف فمن العلماء المعاصرين من يرجع به إلى القرن الثاني قبل الميلاد، ومنهم من يجعله في القرن الثالث بعد الميلاد [٨١]. ونفذت مصر في هذا القرن عند أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠ للميلاد على مذهب فلسفي كان تجديداً لفلسفة أفلاطون، ولذلك يسمى الأفلاطونية الجديدة. وظل نشاط مصر في الطب عظيما، وقد نزلها جالينوس (١٣١-٢٠١م) ولم يكتف

---

(٧٩) قصة الحضارة ٨/ ١٥٦ وماكس ما يرهوف فى كتاب التراث الثوانين للدكتور عبد الرحمن بدوى ص٤٥.

(٨٠) قصة الحضارة ١١/ ١٠٦ وألدوميلى ص ٤٥ وما بعدها.

(٨١) الدوميلى ص ٤٥، ٤٧ وقصة الحضارة ١١/ ١٠٨.

obeikandl.com

بمقامه فيها بالإسكندرية. فقد جاء خلال ديارها حتى وصل جنوبيها والنوبة وبواديها [٨٢]. ومما لا ريب فيه أنه انتفع أكبر انتفاع بنهضة علم الطب والتشريح في مصر، وترك في الإسكندرية بعده مدرسة عنيت بدراسة كتيبة وتلخيصها، وقد عقد ابن أبى أصيبعة لأعلامها فصلا مستقلاً [٨٣]. وظلت الإسكندرية كما كانت طوال عهد البطالمة نحو ستة قرون يُهْرَعُ إليها جميع طلاب الطب من ولايات الإمبراطورية الرومانية، وكان حَسْبُ الطبيب للدلالة على براعته أن يقل إنه تعلم في الإسكندرية [٨٤]. وممن تعلم الطب بها في القرن السادس سرجيوس من "راس عين" بالموصل وإيتيوس من آمد بالموصل أيضاً، ومن أطبائها في أوائل القرن السابع أهرن القس السرياني الذي أمر عمر بن عبد العزيز بنقل كتابه من السريانية إلى العربية. وظل بالإسكندرية نشاط فلسفي بعد أفلوطين يمثله في القرن السادس للميلاد يحيى النحوي شارح أرسطو والفيلسوف المسيحي يوحنا الأبامي [٨٥]. ومما لا شك فيه أن القبطية شركت اليونانية لزمن الرومان في الدراسات العلمية والفلسفية، وانفردت بمباحث فقهية في الدراسات الدينية. ومر بنا أن السيريانية- وكانت منتشرة قبل الفتح العربي بأديرة مصر- دخلتها مع بعض القساوسة والرهبان في القرنين السادس والسابع للميلاد.

---

(٨٢) تاريخ الحكماء (مختصر الزوزنى) للقفطى (طبع ليدن) ص١٣٢.

(٨٣) طبقات الأطباء لابن أبى أطبيعة (نشر دار مكتبة الحياة ببيروت) ص١٥١ والقفطى ص٧١.

(٨٤) ماكس ما يرهوف ص ٤٥ وما بعدها وقصة الحضارة.

(٨٥) انظر مقاله ما يرهوف فى كتاب التراث اليوناني ص٣٧ وما بعدها.

obeikandl.com

ويظل مصر وكل ما كان بها من تراث علمي وفلسفي لواء الإسلام، ومعروف أن الإسلام لم يحارب في أي بلد فتحه ما به من علم وفلسفة، ومر بنا كذب الأسطورة القائلة بأن عمرو بن العاصر أحرق مكتبة الإسكندرية، فقد أحرقها الرومان قبل نزوله مصر بنحو ستة قرون، وإنما أطلنا في بيان هذا التراث لندل على أنه ظل طويلاً، أما ما يقال من أن عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) نقل نشاط علماء الإسكندرية إلى أنطاكية وحران [٨٦] فلعله من باب المبالغة، وكل ما يمكن أن نتصوره أنه ربما انتقل بعض أطبائها وعلمائها من الإسكندرية إلى أنطاكية ليقتربوا من بيزنطة كما يقول ما يرهوف. أما ما ذكره ابن أبى أصيبعة من انتقال التراث اليوناني ومعلميه إلى أنطاكية وحران فيعتوره الشك لسبب بسيط وهو أن المفروض أن ينقل عمر بن عبد العزيز أصحاب التراث اليوناني من الإسكندرية إلى عاصمته دمشق لا إلى أنطاكية، ولعل ابن أبي أصيبعة بالغ في هذا الرأي. ويشهد لما نقوله ما يذكره ابن النديم من أن خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٩٢ هـ أهتم بعلم الكيمياء، أو كما يسميه الصنعة فأحضر إلى دمشق جماعة من فلاسفة اليونان ممن كانوا ينزلون بمصر وتفصحوا بالعربية وأمرهم بنقل الكتاب في الصنعة (الكيمياء) من اللسان اليوناني والقبطي إلى اللسان العربي [٨٧]. فكان الطبيعي أن يصنع عمر بن عبد العزيز صنيعه فينقل علماء الإسكندرية على عاصمته لا إلى أنطاكية وخاصة أنه أهتم فعلا نقل كتاب أهرون القس الإسكندري في الطب وكلف بذلك ما سر جويه البصري كما هو معروف، ولو أنه نقل حقا علماء

(٨٦) راجع مقاله ما يرهوف السالفة وابن أبى أصيبعة ص١٧١.

(٨٧) الفهرست ص ٣٥٢.

obeikandi.com

الإسكندرية إلى أنطاكية كما يقول ابن أبى أصيبعة كلف أحدهم ينقله. وربما كان أكثر من هذا التصور منطقاً أن يقال إن كثيرين من علماء الإسكندرية اليونانيين بارحوها مع اقتحام عمرو بن العاص لها، ويغلب أن كونوا ق حملوا معهم كتبا كثيرة من التراث اليوناني خاصة. ومع ذلك فقد بقى منه ومن علمائه ما أتاح لحركة الإسكندرية العلمية أن تظل مستمرة، وإن فقدت كثيرا من نشاطها. يدل على لك العلماء الإسكندريون المستعربون المذكورون آنفا والذين استدعاهم خالد بن يزيد بن معاوية لترجمة كتب الصنعة، كما يدل على ذلك ابن ابجر طبيب عمر بن عبد العزيز الذي كان يتولى التدريس بالإسكندرية واستدعاه ولزمه في خلافته، ويبدو أنه تعرف عليه حين كان أبو واليا على مصر (٦٥-٨٦هـ) ويقال إنه أسلم على يده [٨٨]

ومن المؤكد أن أديرة مصر ظلت منذ العهد الروماني تحتفظ بكثير ن التراث اليوناني وخاصة في الطب والكيمياء، كما ظلت الإسكندرية تحتفظ بشهرتها بالطب أجيالا. يدل على ذلك أن نجد هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هت) يستدعى نها طبيبا مشهورا لعلاج إحدى جواريه هو بليطيان [٨٩]بطريرك الإسكندرية. وبالمثل ظلت مصر تحتفظ بشهرتها في علم الكيمياء، ويذكر الدوميلي كتابين في الكيمياء ألفهما بمصر في أوائل القرن

(٨٨) ابن أبى اصيبعة ص ١٧١ وقد خلط بين أبن أبجر الإسندرى وابن أبجر آخر. انظر مقالة ما يرهوف ص ٦٤ وما بعدها.

(٨٩) ابن أبى اصيبعة ص ٥٤٠.

obeikandl.com

الثالث الهجري عالم أو علماء- كما يقول- من القبط [٩٠] وممن اشتهر بمعرفة الكيمياء من المصريين ذو النون المتوفى سنة ٢٤٥ واضع أسس التصوف كما مر بنا في الفصل الماضى.

وتبدأ مصر في زمن الخليفة المتوكل (١٣٢-١٤٧هـ) باتخاذ المارستانات [٩١]، ومعروف أنها كان مستشفيات من جهة ومدارس لتعليم الطب من جهة ثانية. وسرعان ما يتولى مصر أحمد بن طولون، وينشئ مارستانا جديدة أنفق عليه ستين ألف دينار، وكان به قسم للمجانين وحمامان: حمام للرجال وحمام للنساء، وكان يركب لزيارته في كل يوم جمعة وتفقد أطبائه وخزائن الدواء فيه [٩٢]. ويذكر ابن أبى أصيبعة من الأطباء لزمنه إبراهيم بن عيسى والحسن بن زيرك وسعيد بن توفيل النصراني وطبيب العيون خلف [٩٣] الطولوني، وله كتاب النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقتهما وعلاجهما وأدويتهما ظل يؤلفه في نحو أربعين عاما من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٣٠٢. وتظل مصر تعنى بالطب بعد الطولونيين، وترعاه الدولة الإخشيدية ويلمع اسم الطبيب سعيد بن البطريق بطريرك الإسكندرية المتوفى سنة ٣٢٨ وله فيه مؤلفات [٩٤] مختلفة. ومن الأطباء لعهد الإخشيد نسطاس [٩٥] بن جريج، وينشئ كافور الإخشيدي مارستانا

---

(٩٠) الدوميلى ص ٢٦٩.

(٩١) خطط المقريزى: مارستان المغافر ٣/ ٣٨٦.

(٩٢) الخطط ٣/ ٣٨٦.

(٩٣) انظر فى خلف ومن قبله ابن أبى اصيبعة ص ٥٤١ وما بعدها.

(٩٤) ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٥.

(٩٥) ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٤.

obeikandi.com

يراعها غير طبيب، ومن الأطباء لعهدة عيسى بن البطريق أخو سعيد، والباسلي وكان طبيباً متميزاً في معرفة الأدوية المفردة، وله فيها كتاب ألفه لكافور[٩٦].

وفي ذلك كله ما يدل على أن دراسة الطب طلبت ناشطة في مصر، وبالمثل ظلت الكيمياء كما أسلفنا، وأيضاً ظلت الرياضيات، ولعل خير من يصور ذلك أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب المصري، عالم زمنه الرياضي، والمظنون أنه كان يعيش في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل الرابع، واشتهر أنه نقح علم الجبر الذي أكتشفه الخوارزمي. ويذكر الدوميلي أن له رسالة في المضلع ذوى الزوايا الخمس ترجمت إلى الإيطالية والألمانية وكتب الطرائف في الحساب وقد ترجم بدوره إلى الألمانية، ويذكر أيضا أن لكاربينسكي كتابا عن علم الجبر باسم الجبر عند أبى كامل [٩٧]. ويقول القفطي إنه صاحب مدرسة وإن له تلاميذ تخرجوا في علمه، لعل منهم على بن أحمد العمراني الموصلي العالم بالحساب والهندسة الذي توفي سنة ٣٤٤ إذ يقول القفطي عنه إنه شرح كتاب الجبر والمقابلة لأبى كامل شجاع أنه كان عالما حاذقا في الرياضيات والهندسة. وكأن مصر ظلت طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة تتم بهذا الجانب من تراثها العلمي حتى أنتجت فيه أبا كامل شجاعا.

وحقا نهضت بغاد كما مر بنا في كتابي العصر العباسي الأول والثاني بترجمة التراث اليوناني في العلوم والفلسفة وأضافت إليه التراث الفارسي والهندسي فنقلتها إلى العربية، وكل ذلك تحول سريعا إلى تراث عربي عام للأمة في بغداد والقاهرة وغيرهما

---

(٩٦) ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٥.

(٩٧) انظر فى شجاع بن أسلم الدوميلى ٢١١، ٢١٦ وبروكلمان ٤/ ١٩٣ والقفطى ٢١١، ٢٣٣.

من بلدان العالم العربي الكبيرة، وقد بلغ من تمثل بغداد للرياضيات أن أبتكر الخوارزمي علم الجبر، وبلغ من تمثل القاهرة لما كان بها من مصنفات تتصل الرياضيات أن تجرد أبو كامل شجاع بن أسلم الرياضي المصري لتنقيح جبر الخوارزمي. واهتمت البيئات العربية بتنقيحه، فإذا على بن أحمد العمراني الموصلي يعنى بشرحه وتفسيره لهذا التنقيح في كتاب مستقل نَّوه به وبأصله القدماء.

وظل النشاط محتدما في الرياضيات وعلوم الفلك والتنجيم طوال زمن الفاطميين، ومن المنجمين لعهد المعز وابنه العزيز ممد [٩٨] بن عبد الله العتقي وأبى [٩٩] عبد الله بن القلانسي، ومن أعظم الفلكيين بمصر وعند العرب قاطبة أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المصري، وقد بدأ بعمل زيج كبير أو بعبارة أخرى بعمل لوحات فلكية مفصلة لعهد العزيز وأخذ في تنقيح زيجه لعهد الحاكم أبنه وقد أقام له مرصداً ضماً كان قسما من دار العلم ويقال إنه أتم زيجه سنة ٣٩٧ وإنه كان يشغل أرب مجلدات ضخم، ويقول ابن خلكان إنه لم ير في الأزياج على كثرتها أطول [١٠٠] منه، وقد سماه الزيج الحاكمي الكبير ولم يلبث أن توفي سنة ٣٩٩.

ونزل مصر لعهد الحاكم أكبر علماء الرياضة والطبيعة العراقيين لزمنه أو على الحسن بن الهيثم البصري [١٠١]، وفرح الحاكم بقدومه وخرج للقائه على باب القاهرة. ولما وقف

---

(٩٨) القفطى ص٢٨٥.

(٩٩) القفطى ص٤١٠.

(١٠٠) انظر فى على بن عبد الرحمن الصدفى ألدوميلى ٢١٣، ٢١٩ وبروكلمان ٤/ ٢٢٤ وابن خلكان ٣/ ٤٢٩ والقفطى ٢٣٠ وتاريخ الفلك عند العرب لنلينو ١٨٦، ٢٨١.

(١٠١) تقدمت مصادر ابن الهيثم فى الجزء الخامس من تاريخ الأدب العربى، وراجع ابن أبى اصيبعة ص

على خبل الحاكم سكن قبَّة على باب الجامع الأزهر، ويقال إنه كان يكتب المجسطي في الفلك والهيئة لبطليموس ومصنفات أقليدس في الهندسة وبيعيها جميعا بمائة وخمسين دينارا. ويبدو أن نبوغه الفلسفي والرياضي والفيزيقي إنما تحق في مصر التي أتخذها سكنا له ومقاما لأكثر من ثلاثين عاما، وبها ألف كتابه "المناظير" في العدسات وانعكاسات الضوء، وقد تُرجم قديما إلى اللاتينية، وله تأثير علمي عالمي بعيد. وعليه تتلمذ كثير من المصريين وأخذوا منه كل ما عنده في الطبيعات والرياضات والفلك والطب والفلسفة. والمظنون أن دار العلم كانت تعنى فيما تعنى بدروس الرياضيات والطبيعات والفلك والفلسفة، إذ كان الخلفاء الفاطميون يعنون بالعلماء في كل هذه الجوانب. وظلت هذه العناية متصلة في عهد الظاهر بن الحاكم وعهد ابنه المستنصر. وما يدل على النشاط في الدراسات الفلكية والهندسية والفلسفية ما يرويه ابن السَّنْبَدِى من أنه رأى [١٠٢] في خزانة القصر الفاطمي سنة ٤٣٥ لعهد المستنصر من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة ستة آلاف وخمسمائة جزء وكره نحاس من عمل بطليموس الجغرافي وكرة أخرى من فضة من عمل أبى الحسين الصوفي لعضد الدولة البويهي.

ويشتهر من تلاميذ ابن الهيثم رياضي متفلسف هو مبشر [١٠٣] بن فاتك، ويقول القفطي قراء عليه فضلاء زمانه. ويتكاثر الفلكيون والمنجمون والرياضيون بأخرة من القرن الخامس الهجري لعهد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ٤٨٧ هـ – ٥١٥ هت) يقول

---

٥٥٠ وألدوميلى ص٢٠٦ وما بعدها.

(١٠٢) القفطى ص٤٤٠.

(١٠٣) القفطى مصر ٢٦٩ وابن أبى أصيبعة ص ٥٦٠.

المقريزي: "وكان منجمو الحضرة سنة ٥٠٠ سهلون وابن الحلبي وابن الهيثمي وغيرهم يطلق لهم الجاري في كل شهر والرسوم والكسوة لعمل التقويم في كل سنة [١٠٤]" ثم يذكر أنه فكر في عمل مرصد ضخم فنشط في إقامته، ويذكر المقريزي أنه كان يعمل به من المهندسين أو جعفر بن حسداي والقاضي ابن أبى العيش والخطيب أبو الحسن على بن سليمان بن أيوب والشيخ أبو النجا بن سند الساعاتي الإسكندرية المهندس وأبو محمد عبد الكريم الصقلي المهندس إلى غيرهم من الحساب الرياضيين والمنجمين. ويعدد من ذكرناهم أولاً ويضيف إليهم ابن دياب والقلعي وأبا نصر تلميذ سهلون. وينزل مصر لعهد الأفضل أمية بن أبى الصلت المتفلسف والأديب الأندلسي، ويكتب عن مصر وأدبائها وعلمائها رسالة مشهورة باسم الرسالة المصرية، وممن يذكرهم من الفلكيين المصريين رزق الله النحاس المصر وعلى بن النضر، وقد ترجم لها القفطي [١٠٥] وذكر المهندس المصريين أبا على المهندس، وله أيضاً ترجمة في القفطي [١٠٦]

وتموج القاهرة بالأطباء منذ عصر المعز أول الخلفاء الفاطميين بمصر، ومن أطبائه موسى [١٠٧] بن العازار الجراح اليهودي، ومن أطبائه وأطباء ابنه العزيز أبو عبد التميمي لا المقدسي [١٠٨] وأحمد [١٠٩] بن محمد البلدي وأبو سهل كيسان [١١٠] بن عثمان واعين [١١١] بن

---

(١٠٤) خطط المقريزى فى ذكر الرصد ١/ ٢٣٣ وما بعدها.

(١٠٥) القفطى ص ١٨٦ و٢٣٧ على الترتيب.

(١٠٦) القفطى ص٤١٠.

(١٠٧) ابن أبى أصيبعة ص٥٤٥.

(١٠٨) ابن أبى أصيبعة ص٥٤٦ والقفطى ص١٠٥ وبروكلمان ٤/ ٢٩٠.

(١٠٩) ابن أبى أصيبعة ص ٣٣٢ وبروكلمان ٤/ ٢٩١.

obeikandi.com

أعين ومنصور [١١٢]بن مقشر. ويخلف العزيز ابنه الحاكم ويتكاثر الأطباء في عهده من مثل إسحق [١١٣]بن إبراهيم بن نسطاس وما سويه [١١٤]وكان طبيبا وصيدلانيا وطبيب العيون أبى القاسم عمار [١١٥]بن على وله المنتخب في بلاد أمراض العين. ومن أهم الأطباء حينئذ ابن [١١٦]رضوان المتوفى سنة ٤٥٣هـ، وجعله الحاكم رئيسا على جميع الأطباء، وظل في هذه الوظيفة نحو خمسين عاما، ودوت شهرته في العالم العربي مما جعل علماءه يكاتبونه ويرحل بعضهم إليه لمناظرته في مسائل الطب، وممن رحل إليه من بغداد طبيبها ابن بُطْلان كما مر بنا في حديثنا عنه في الجزء الخامس من هذه السلسلة، ويقول ابن أبى أصيبعه موازنا بينهما: "كان ابن بطلان أعذب لفظا وأكثر ظرفا وأميز في الأدب وما يتعلق به، وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها". وقد تُرْجم شرحه لكتاب جالينوس في الطب إلى اللاتينية، ونشر مراراً شرحُه للمقاولات الأربع لبطليموس في علم الهيئة والفلك.

وتنشط صناعة الطب في مصر بفضل ابن رضوان وتلاميذه، وأيضاً بفضل دار العلم، فقد كان الطب يدرس فيها، إذْ يذكر المقريزي في حديثه عنها أن الحاكم أحضر

---

(١١٠) القفطى ص ٢٦٧ وانظر ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٨.

(١١١) ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٦.

(١١٢) ابن أبى أصيبعة ص٥٤٩.

(١١٣) ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٤.

(١١٤) الدومييلى ص٢٤٠.

(١١٥) ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٩ والدوميلى ص٥٤٨ وبروكلمان ٤/ ٣٠٣.

(١١٦) القفطى ٤٤٣ وابن أبى أصيبعة ٥٦١ وألدوميلى ص٢٤١ و٢٥١ وما بعدها.

obeikandl.com

منها في سنة ٤٠٣ جماعة من الأطباء وكذلك من أهل المنطق للمناظرة بين يديه [١١٧]. وقد يكون في ذلك ما يد على المنطق كان يدرس بها وهو ما يتصل به من الفلسفة. ومن الأطباء الذين عاصروا ابن رضوان على [١١٨] بن سليمان، وكان في أيام العزيز والحاكم والظاهر، وكان متقنا للطب والفلسفة والعلوم الرياضية، وله في الفلسفة والطب كتب مختلفة. وممن خلفوا ابن رضوان تلميذ إفرائيم [١١٩] بن الحسن اليهودي، وقد حصل من المستنصر وأبنائه على أموال كثيرة، وكان شغوفا بالكتب الطبية والفلسفية وغيرها، وكانت لديه منها خزانة كبيرة، واشتهر بأنه كان عنده دائماً نُسَّاخ يكتبون له ما يريد ن الكتب، ويذكر ابن أبى أصيبعة أن تاجرا عراقيا من تجار الكتب اشترى منه عشرة آلاف مجلد، وهمَّ بحملها على العراق، وبلغ ذلك الأفضل بن بدر الجمالي في أيام وزارته، فبعث إليه بالمال الذي اتفق مع العراقي عليه حتى لا تخرج هذه الكتب من مصر، ويقولون إنه حوالها إلى مكتبته الخاصة وكانت تشتمل على خمسمائة ألف مجلد. ومن تلاميذ إفرائيم سلامة [١٢٠] بن رحمون الطبيب ويقول أبن أبى أصيبعة إنه نصب نفسه لتدريب كتب المنطق والفلسفة الطبيعية والهيئة. ونظل نسمع عن أطباء في العهد الفاطمي لا في القاهرة فحسب، بل أيضا في المدن مثل الحسن [١٢١] بن منصور طبيب إسنا

---

(١١٧) خطط المقريزى ٢/ ٢١٨.

(١١٨) ابن أبى أصيبعة ص٥٥٠.

(١١٩) أبن أبى أصيبعة ص٥٦٧.

(١٢٠) أبن أبى أصيبعة ص٥٦٨ والقفطى ص٢٠٩.

(١٢١) حسن المحاضرة ١/ ٥٤٠ والطالع السعيد للإدفوى ١٢٠.

obeikandl.com

بالصعيد المتوفى في أوائل المائة السادسة. ومن أهم الأطباء بالقاهرة ابن [١٢٢]العين زربي وله كتاب الكافي في الطب بدأ في تأليفه سنة ٥١٠ وانتهى منه سنة ٥٤٧ قبل وفاته بعام واحد، ويقول ابن أبى أصيبعة: "كان له تلاميذ عدة يشغلون عليه" وترجم منهم لطبيب يسمى بلمظفر [١٢٣]بن المعَّرف. ولحقت طائفة من تلاميذه العصر الأيوبي.

ولعل يما قدمنا ما يوضح نشاط الأطباء وأصحاب الرياضيات والطبيعيات والفلك بمصر طوال زمن الفاطميين، ولم نحاول أن نحيل في بيان صلة المصريين حينئذ بالفلسفة على الدعوة الإسماعيلية، كما يصنع بعض الباحثين المعاصرين، لأن المصريين لم يعتنقوا هذه الدعوى، وكان دعاتها يلقنون تلاميذهم الفلسفة من مراحل الدعوة حتى إذا وصلوا بهم إلى المرحلة التاسعة أحالوهم- كما يقول المقريزي- على ما يقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الإلهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية. ومن المؤكد أن المصريين لم يقبلوا على هذه الدعوة بدليل أن دعاتها كانوا دائماً من المغرب أو من الشام أو من إيران. ويبدو أنه كان للمصريين نشاطهم المستقل في دراستهم لفلسفة عن طريق دراستهم للطب وللرياضيات والطبيعيات، ومن يرجع إلى تراجم من عرضنا لهم ف أبن أبى أصيبعة والقفطي سيجد لهم مصنفات فلسفية متنوعة كثيرة.

وإذا تقدمنا إلى العصر الأيوبي وجدنا مصر تحمل بقوة مسئوليتها في طرد الصليبيين من ديار الشام، ومع ذلك تظل الحركة العلمية نامية بها بفضل ما أنشأ فيها صلاح

---

(١٢٢) ابن أبى أطصيبعة ص ٥٧٠.

(١٢٣) ابن أبى أصيبعة ص٥٧١.

obeikandi.com

الدين وخلفاؤه الأيوبيون من المدارس. وتظل العناية متصلة بعلوم الأوائل، ويدل على ذلك أنه يلقانا بعض البارعين في الدراسات الفلسفية مثل السيف الآمدي المتوفى سنة ٦٣١ وأفضل [١٢٤] الدين الخونجي المتفلسف المتوفى سنة ٦٤٢ وكان يتقن العلوم الفلسفية والدراسات الإسلامية وله تصانيف في المنطق والطبيعات، ويقول ابن أبى أصيبعة إنه قرأ عليه بعض الكليات من كتاب القانون في الطب لابن سينا، وقد ولاه السلطان الصالح نجم الدين أيوب قضاء مصر سنة ٦٣٨ بعد عزل شيخ الإسلام وإمام الأئمة شرقا وغربا- كما يقول السيوطي- عز الدين بن عبد السلام. ولعل في ذلك ما ينقض كل ما قيل عن الأيوبيين من أنهم وقفوا الدراسات في علوم الأوائل ولم يشجعوا عليها. فقد قدم السلطان الصالح نجم الدين أيوب أحد علمائها المتعمقين في مباحثها في جميع فقهاء زمنه الشافعية. ويبرع في عهد الأيوبيين مهندس رياضي كبير هو قيصر [١٢٥] بن أبى القاسم المتوفى سنة ٦٤٩ وهو من اصفون بالصعيد، كان فقهاء حنيفا عالما بالقراءات وتعلق بالرياضيات والموسيقى وأنواع الحكمة، وهو الذي أقام لأمير حماة نواعير نهر العاصي البديعة التي لا تزال تنحدر المياه فيها من علو شاهق إلى اليوم، مؤلفة بذلك أقام لأمير حماة نواعير نهر العاصي البديعة التي لا تزال تنحدر المياه فيها من علو شاهق إلى اليوم، مؤلفة بذلك منظراً بالغ الروعة. وكان فلكياً مبدأ، أنشا كرة سماوية عظيمة لا تزال محفوظة إلى الآن في المتحف الوطني لمدينة نابولي بإيطاليا.

---

(١٢٤) ابن أبى اصبيعة ص ٥٨٦ وحسن المحاضرة ١/ ٥٤١ وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ١٠٥.

(١٢٥) انظر فى قصير حسن المحاضرة ١/ ٥٤٢ والطالع السعيد ص٢٥٩ وألدوميلى ص٣٠٥.

وكان الأيوبيون يهتمون بالطب والأطباء منذ صلاح الدين، وقد بدأ هذا الاهتمام باتخاذه مارستانا ضخما في القاهرة وفيه يقول ابن جبير: "ما شاهدناه بالقاهرة من مفاخر السلطان صلاح الدين المارستان وهو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا [١٢٦]" ويذكر أنه عين له قيما وضع لديه خزائن العقاقير. ويقول إنه وضعت في مقاصر ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسوة، وبين يدي القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشيا ويقدمون لهم ما يلزمهم من الأغذية والأدوية، ويذكر أن بالمارستان قسما خاصا بالمرضى في النساء ومعهن من الخدم من يتكفل بحاجاتهن، وقسما خاصا بالمجانين على مقاصيره شبابيك الحديد. ويقول ابن جبير إن بالفسطاط مارستانا آخر في مثل ذلك الرسم بعينه. وطبيعي أن يحتاج المارستانا إلى كثير من الأطباء. ولابد أن نلاحظ أن المارستان في القاهرة وبغداد جميعا كان دائما مدرسة للطب. كما كان مستشفى. بالضبط شأن القصر العيني بالقاهرة حديثا كما أسلفنا. وأول من يلقانا منهم الشيخ الشديد [١٢٧]أبو المنصور عبد الله الذي خدم الخلفاء الفاطميين ثم لاح الدين وطالبت حياته حتى سنة ٥٩٢ وكان رئيساً على سائر المتطببين بمصر حتى وفاته. وعاصرته طائفة من الأطباء اليهود مثل ابن [١٢٨]جميع وكان له مجلس لمن يشتغلون عليه بصناعة الطب، ومثل الموفق بن شوعة المتوفى سنة ٥٧٩ وأبى البيان

---

(١٢٦) رحلة ابن حبير ص٥١.

(١٢٧) ابن أبى أصيبعة ص٥٧٢ حسن المحاضرة ١/ ٥٤٠.

(١٢٨) انظر فى ابن جميع ومن تلاه من أطباء اليهود ابن أى أصيبعة ص ٥٧٦ وما بعدها وألدوميلى ص٣٢٠ وما بعدها وص٥٦٦.

obeikandl.com

من المدور المتوفى سنة ٥٨٠ وأبى الناقد الكحّال طبيب العيون المتوفى سنة ٥٨٤ وموسى بن ميمون المتوفى سنة ٦٠١. وتكاثر الأطباء المصريون في عهد صلاح الدين وبعده مثل أبى [١٢٩] البركات بن القضاعي المتوفى سنة ٥٩٨ وجمال [١٣٠] الدين ابن أبى الحوافر القيسي وقد ولاه السلطان عثمان بن صلاح الدين رياسة الأطباء بعد الشيخ السديد وظل في هذه الوظيفة حتى عهد الكامل. وكان ابنه فتح [١٣١] الدين أحمد ماهرا في الرمد وطب العيون، ويقول الدومييلي إنه ألف كتابا يحتوى على ١٥ فصلا في علم الرمد. وتكلم ففي أحد الفصول عن عملية الكتابراكت. وعاش إلى عصر السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وولى أحيانا رياسة الأطباء. ومن رؤساء الأطباء لعهد الكامل نفيس [١٣٢] الدين الزبير المتوفى سنة ٦٣٢٦ ويقول ابن أبى أصيبعة إن أولاده مقيمون في القاهرة ومشهورون بصناعة الكحل ومتميزون في علمها وعملها.

ويستمر ابن أبى أصيبعة في ذكر الأطباء المصريين لعهد الأيوبيين. ويختم تراجمهم بترجمة لابن [١٣٣] البيطار المالقي الأندلسي المولد المتوفى سنة ٦٤٦ وقد بارح موطنه في العشرين من عمره وجاب بلاد المغرب دارسا لما فيها من نباتات، وألقى عصاه بمصر فجعله السلطان الكامل رئيسا على جميع العشَّابين، وهو بحق إمام النباتيين لزمنه، وقد سافر إلى بلاد الروم والإغريق والشام دارسا لأنواع النبات، وقرأ ما كتبه ديسقرويدس

---

(١٢٩) ابن أبى أصيبعة ص٥٨٢.

(١٣٠) نفس المصدر ص٥٨٤.

(١٣١) ابن أبى اصيبعة ص٥٨٥ وألدمييلى ص ٣٢٢، ٣٢٦.

(١٣٢) ابن أبى أصيبعة ص٥٨٦.

(١٣٣) انظر فى ابن أبى أصيبعة ص٦٠١ وحسن المحاضرة ١/ ٥٤٢ وألدومييلى ص٤١٤ وما بعدها.

obeikandl.com

غيره من النباتيين. وهو بحق يعد أعظم الصيدلانيين قاطبة قبل العصر الحديث، وله كتابان: كتاب الجامع في الأدوية المفردة وبه أكثر من ١٤٠٠ دواء مثل ثلاثمائة لا يتناولها صيدلي قبله، وليس في نفس الموضوع كتاب ثان هو المغنى في الأدوية المفردة، وقد قدم الكتابين للسلطان الصالح نجم الدين أيوب. وإذا كانت مصر أتاحت ابن البيطار المالقي الأندلسي بجَّوها العلمي الخصب أن يؤلف فيها كتابيه السالفين في الأدوية فإنها أتاحت لأحمد بن يوسف التيفاشي المغربي المتوفى سنة ٦٥١ أن ينزل بها في أواخر القرن السادس الهجري، وهو لا يزال يافعا صغير السن ويتكوّن فيها علميا، ويعود إلى بلده، ولا يلبث أن يعود على مصر ويتولى بها القضاء، وقد بدأ مكرًا بدراسة التاريخ الطبيعي وأختار علم المعادن مع عنايته بالصيدلة والطب، ويؤلف كتابه "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" وفيه يتناول خمسة وعشرين حجر في خمس وعشرين فصلا [١٣٤]، ويسوف في كل حجر كالماس والياقوت مثلا ما ذكره جالينوس أو غيره من فلاسفة الإغريق، ويتحدث عن معدنه وتكونه وخواصه ومنافعه، مما قد يدخل في المعارف الطبية، ويتصل بهذه المعارف كتابه "المنقذ من التهلكة في دفع مضار السمائم المهلكة". ويلقانا في عهد السلطان الكامل المنصور [١٣٥]بن بعرة الذهبي الكاملي وكتابه "كشف الأسرار العملية لضرب النقود المصرية" وفيه يتحدث عن إعداد المعادن وتصفيتها

(١٣٤) نشر كتابه طأزهار الأفكار" فى القاهرة الدكتوران محمد يوسف ومحمود بسيونى خفاجى بالهيئة الصرية العامة للكتاب، وراجع فيه مقدمتها وما بها من مراجع.

(١٣٥) انظر فيه ألدوميلى ص٣٠٨، ٣١٠.

obeikandl.com

وطرق استعمالها في سك النقود، ويتناول دار سَكٍّ النقود وواجبات مَنْ بها من الموظفين.

وتظل لمصر قيادتها العلمية في زمن المماليك، ويظل ينزلها العلماء من الشرق والغرب، وتظل تعنى بالفلسفة [١٣٦]، ويذكر السيوطي حشدا [١٣٧] من متفلسفتها وعلماء المعقولات بها مثل شمس الدين محمد بن حمود الأصبهاني المتوفى سنة ٦٨٨ وتلميذه تاج الدين البارناباري المتوفى سنة ٧١١ وشمس الدين أبي الثناء محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني المتوفى سنة ٧٤٩ وعلاء الدين على بن أحمد المدرس بمدرسة برقوق المتوفى سنة ٧٩٠ وابن جماعة عز الدين محمد بن شرف المتوفى سنة ٨١٩ والكافِيجِي محي الدين محمد بن سليمان المتوفى سنة ٨٧٩.

وظل كثير من المصريين يشتغلون بالطبيعات والرياضيات، وممن أهتم بالتاريخ الطبيعي بيلك الق بجي الذي صنف حوالي سنة ٦٨٠ كتابه "كنز التجار في معرفة الأحجار" ويقول الدوميلي: "لهذا الكتاب أهمية خاصة إذ نجد فيه توضيحا لاستعمال البوصلة عند الملاحين وطرق استعمالها [١٣٨]"، ويظن أن معرفة المصريين والعرب بها ترجع إلى تاريخ أقدم من ذلك، ربما إلى القرن السادس الهجري المقابل للثاني عشر الميلادي، بل ربما على النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي المقابل للقرن الخامس الهجري. والمهم أن مصر هي التي سجلت اكتشافها عند عالمها بيلك. وأكبر

---

(١٣٦) راجع البحر المحيط لأبى حيان ٥/ ١٤٨ – ١٥٠ فى تفسير سورة يونس آية ٢٧.

(١٣٧) انظر حسن المحاضرة للسيوطى ١/ ٥٣٩ وما بعدها.

(١٣٨) الدوميلى ص٣١٤ وما بعدها.

obeikandi.com

الظن أنها هي التي أعدَّت لصنعها، وصَنَعْتها بفضل اشتغالها بالملاحة في البحرين المتوسط والأحمر من قديم. وكان ملاحوها في عصر المماليك يغدون ويروحون في البحرين للتجارة والغزو أحياناً على نحو ما هو معروف عن تجارتهم مع موانى إيطاليا وغزوهم لقبرص وطرهم للبرتغاليين من شواطئ اليمن بأخرة من أيام المماليك. على كل حال يرمز اكتشاف مصر للبوصلة إلى نشاط المعارف العلمية فيها طبيعية ورياضية. ويلقانا بها محمد [١٣٩] بن موسى الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ وموسوعته في علم الحيوان التي سماها "حياة الحيوان الكبرى" معجم للحيوان مرتب أبجدياً حسب أسمائه وأنواعه، ومع كل حيوان خصائصه العملية والطبية وطُرفٌ من الحديث النبوي والأمثال والأشعار وتراجم لبعض العلماء والفلاسفة والأدباء والشعراء، وهو مطبوع في مجلدين ومترجم إلى الإنجليزية.

وارتقى حينئذ فن المعمار وما يتبعه من الهندسة رقيا بعيدا، لكثرة الأبنية التي شادها سلاطين المماليك منذ الظاهر بيبرس، وفي مبانيه يقول أن تَغْرى بردى: "بُنى في أيامه بالديار المصرية ما لم يُبْنَ في أيام الخلفاء المصريين (الفاطميين) ولا ملوك بنى أيوب من الأبنية والرباع والخانات والقواسير والدول والمساجد والحمامات [١٤٠]". وتوالى السلاطين بعده وخاصة قلاوون يكثرون في الأبنية الرائعة، وكل ذلك كان يقوم عليه مهندسون مصريون بارعون مما لا نزال نرى آثارها في مساجدهم الباقية. وينوه

---

(١٣٩) راجع فى الدميرى حسن المحاضرة ١/ ٤٣٩ والضوء اللامع.. رقم ٢٠٤ وشذرات الذهب ٧/ ٧٩ والبدر الطالع ٢/ ٢٧٢ وألدوميلى ص ٥٠٧ ودائرة المعارف الإسلامية.

(١٤٠) النجوز الزاهرة ٧/ ١٩٦.

obeikandi.com

السخاوي بمهندس مصري بارع لعهد السلطان برقوق (٧٨٤-٨٠١هت) هو شمس الدين الطولوني، ويقول: "كان المعّول عليه وعلى أبيه في العمار السلطانية"[١٤١] وظل العلماء المصريون يعنون بالرياضيات والفلك، ويشهر منهم رياضي كبير هو شهاب الدين أحمد بن حد بن الهائم [١٤٢] الفرضي من علماء القرن التاسع الهجري، وله كتب كثيرة في الحساب والجبر ذكر مخطوطاتها بروكلمان، منها في الحساب مرشد الطالب إلى أسمى المطالب، كان واسع الانتشار. وفي دار الكتاب المصرية بعض شروح له وبعض مخطوطات مختلفة من كتب ابن الهائم الرياضية.

وظل لمصر نشاطها زمن المماليك في دراسة الطب والتأليف فيه، وكان مارستان القاهرة الذي أنشأ صلاح الدين يُعَد أكبر معهد لتدريس الطب، وقد تَخَّرج فيه كثيرون مثل ابن أبى أصيبعة [١٤٣] المتوفى سنة ٦٦٨ صاحب كتاب طبقات الأطباء، وهو كتاب نفيس إذ يشتمل على ترجمة نحو أربعمائة طبيب عربي، ويمكن أن نضم إليه الأطباء الذين كانوا مُلتُفيِّن بالظاهر بيبرس مثل شهاب [١٤٤] الدين بن فتح الدين القيسي ورشيد [١٤٥] الدين أبى حليقة النصراني. ولا يلبث أن يلي لا السلطنة بعد بيبرس المنصور قلاوون

---

(١٤١) الضوء اللامع ١/ ٢٢١.

(١٤٢) انظر ابن الهائم فى الذرات ٧/ ١٠٩ والضوء اللامع ٢ رقم ٤٤٩ والدومييلى ٥٠٦، ٥١٣ وبروكلمان (الطبعة الألمانية) ٢/ ١٢٥.

(١٤٣) راع ابن أبى أصيبعة فى النجوز الزاهرة ٧/ ٢٢٩ والشذرات ٥/ ٣٢٧ وأيضاً الدومييلى (انظر الفهرس) ودائرة المعارف الإسلامية.

(١٤٤) ابن أبى أصيبعة ص ٥٨٥.

(١٤٥) ابن أبى أصيبعة ص٥٩٠.

obeikandl.com

(٦٧٨ – ٦٨٩هـ) فينشئ بيمارستانا ضخما يقول فيه ابن تغرى بردى: "وهذا البيمارستان وأوقافه وما شرطه قلاوون فيه لم يسبقه إلى ذلك أحد قديما ولا حديثا شرقا ولا غربا [١٤٦]" وقد جعله أقساما كبيرة: قسما للمرضى بالحميات، وقسما للرمد ومرضاه، وقسما للجرحى، وقسما لمن به إسهال، وجعل فيه قسما للنساء، وأمكنة للأدوية وتركيبها، وأمكنة لإعداد الطعام وأخرى للمحاصيل، وجعل يه فراشين لخدمة الرجال وفراشات لخدمة النساء ونصب فيه الأسرة للمرضى ،أمدها بكل ما تحتاج إليه من فُرش. وأهم منذ لك كله أنه جعل فيه قاعة لرئيس أطبائه، كي يلقى فيه دروسه على طلاب الطب [١٤٧].وبذلك كان المارستان مستشفي وكلية طب معا، وقد شاهده ابن بطوطة بعد وفاة قلاوون بنحو أربعين عاما سنة ٧٢٧ للهجرة فقال: "أما المارستان عند قبر قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه، وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لا يحصر". ويُذْكَرُ أن مَجْباه (نفقاته) كان ألف دينار كل يوم [١٤٨]".

وتلقانا في عهد قلاوون بان كلية الطب التي كانت ملحقة بمارستانه كما ذكرنا مدرسة لطب سميت المدرسة [١٤٩]المهذَّبية نسبة إلى منشئتها الطبيب مهذب الدين محمد بن أبى حليقة المار ذكره في عهد بيبرس، وكان قد خدمه مع أبيه واسلم في أيامه وسمي محمدان ويقول ابن أبى أصيبعة: مولده سنة ٦٢٠وإنه قرأ على أبيه الصناعة الطبية

---

(١٤٦) النجوز الزاهرة ٧/ ٣٢٧.

(١٤٧) راجع فى هذا المارستان خطط المقريزى ٣/ ٣٨٦ وما بعدها.

(١٤٨) راحلة ابن بطوطة (طبع المطبعة الأزهرية) ١/ ٢٠.

(١٤٩) خطط المقريزى ٣/ ٣٧١.

obeikandl.com

وصور أقسامها الكلية والجزئية وحصل معانيها العلمية والعملية [١٥٠]". وبلغ من ازدهار دراسة الطب حينئذ أنه كان يدرس في المساجد الجامعة، إذ نجد السلطان لاجين (٦٩٦-٦٩٧هـ) يعمل جامع ابن طولون؛ ويرتب فيه دروسا- كما مر بنا- للفقه على المذاهب الأربعة ودرسا للحديث النبوي، وبجانب ذلك يرتب فيه درسا للطب [١٥١]، وممن درسوا فيه بعد زمنه في القرن الثامن الطبيب شمس [١٥٢]الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصري المتوفى سنة ٧٧٦.

ويكفي لبيان ازدهار دراسة الطب حينئذ أن تنتج مصر شيخ الأطباء لزمنه علاء الدين على بن أبى الحزم المعروف باسم ابن النفيس [١٥٣]العلامة في فنه الذي لم يكن في زمنه من يضاهيه في الطب والعلاج والعلم، كما يقول ابن تغرى بردى، ويكفيه فخرًا ما ذكره الدوميلي وغيره من الغربيين من أنه أكتشف لأول مرة الدورة الدموية الثانية، مسجلا بذلك كشفا طبيا خطيرا لم يستطع الأطباء منذ جالينوس إلى زمنه اكتشافه. ومن كتبه (الشامل في الطب" و"المهذب في الكحل" وشرح القانون في الطب لابن سينا. وق توفي سنة ٦٨٧ بعد أن أوقف داره وأملاكه وجميع ما يتعلق به على مارستان قلاوون الذي كان يعمل به رئيساً لأطبائه. وولى رياسة الأطباء بعده مهذب الدين بن

---

(١٥٠) ابن أبى أصيبعة ص٥٩٨.

(١٥١) خطط المقريزى ٣/ ١٤٨.

(١٥٢) حسن المحاضرة ١/ ٥٤٦.

(١٥٣) انظر فى ابن النفيس النجوز الزاهرة ٧/ ٣٧٧ والسبكى ٨/ ٣٠٥ وحسن المحاضرة ١/ ٥٤٢ والذرات ٥/ ٤٠١ وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٣٤ وروضات الجنات ٤٩٤ والدارس فى أخبار المدارس ٢/ ١٣١ والدوميلى ص ٣٢٣، ٣٢٦ وكتاب بول غليونجى عنه.

obeikandi.com

أبى حليقة المار ذكره، ويسرد السيوطي في حسن [١٥٤]المحاضرة أسماء طائفة من الأطباء في القرن الثامن الهجري. ومن الأطباء الذين لم يذكرهم محمد [١٥٥]بن الأكفاني المتوفى سنة ٧٤٨ ويبدو أن تخصصه الأكبر كان في طب العيون، ومن مصنفاته في الرمد "كشف الغين في أحوال العين" وله كتاب في الطب المنزلي سماه "غنية اللبيب" وكتاب في الفصد سماه "نهاية القصد" وكتاب في الأحجار النفيسة سماه "نخب الذخائر" ومن كتبه:"إرشاد القاصد إلى أقصى المقاصد" وهو مختصرة جامع لفنون شتى تبلغ ستين فنا نشره شبرنجر في المكتبة الهندية. واشتهر بعده في طب العيون صدقه [١٥٦]بن إبراهيم الشاذلي، ويغلب أن يكون تلميذه إذ هو من أطباء النصف الثاني من القرن الثامن الهجري المقابل للقرن الرابع عشر الميلادي. ومما يدل على شهرة مصر لأيام المماليك في الطب والأطباء ما يذكره ابن إياس في كتابه بدائع الزهور من أن السلطان بايزيد العثماني أرسل في سنة ٧٩٥ رسولا إلى السلطان بروق يسأله أن يبعث إليه بطبيب مختص بأمراض المفاصل فأرسل إليه رئيس الأطباء ابن صغير ومعه أدوية كثيرة لعلاجه [١٥٧].ويظل هذا النشاط الطبي في مصر حتى نهاية زمن المماليك إذ نلتقي في زمن قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢١هـ) بالطبيب محمد القوصي، وإليه قدم كتابه "كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة" ومنه مخطوطة بدار الكتب المصرية.

---

(١٥٤) حسن المحاضرة ١/ ٥٤٣ وما بعدها.

(١٥٥) البدر الطالع اللشوكاتى ٢/ ٧٩ وأنظر ألدومييلى ص٥٠٥، ٥١٠.

(١٥٦) ألدومييلى ص٥١٠.

(١٥٧) راجع بدائع الزهور فى السنة المذكورة.

obeikandl.com

ومعروف أن عناية العرب بالبيطرة ومداواة الخيل قديمة، وكان طبيعيا والطب ينشط في مصر النشاط السالف في أيام المماليك أن يعنى بعض أطبائها بالطب البيطري، ومن خير ما ألف فيه كتاب لطبيب بيطري كان المشرف على خيل السلطان الناصر محمد بن قلاوون، هو أبو بكر [١٥٨]بن المنذر بن بدر المتوفى سنة ٧٤١ واسم الكتاب "كامل الصناعتين: الزردقة والبيطرة" والزردقة دراسة الخيل والبيطرة: علم أمراض الخيل وأدويتها وقد ترجم الكتاب إلى الفرنسية الدكتور بيرون، وترجمه إلى الألمانية حديثًا فرونر. ولأيدمر [١٥٩]الجلدكي المتوفى سنة ٧٤٣ (وقيل بل سنة ٧٦٣) كتبٌ في المعادن منها، المصباح في علم المفتاح وهو مطبوع في بومباي، وكتاب نتائج الفِكَرَ في أحوال الحجر وهو مطبوع في القاهرة.

وتكاد تتوقف هذه الحركة العلمية الدائرة في زمن العثمانيين. ولكن تظل منها بقايا غير قليلة في الجامع الأزهر وفي بعض المدارس. وتظل مصر ترعى العلوم الإسلامية واللغوية وبعض ما تبقى فيها من علوم الأوائل، ومَنْ يرجع إلى كتاب الكواكب السائرة في علماء المائة العاشرة لنجم الدين الغزي المتوفى سنة ١٠١٦ وكتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي المتوفى سنة ١١١١ سيجد فيهما كثيرين يعنون بالرياضيات والفلك مثل عبد القادر المنوفي الفلكي بالمدرسة الغورية المتوفى سنة ٩٨٠ ومصطفي بن شمس الدين الدمياطي المتوفى سنة ١٠٣٨ وعبد الله المقدسي الأزهري المتوفى سنة ١٠٧٠. ويسوق الجبرتي في تاريخه تفاصيل كثرة عن الرياضيين

---

(١٥٨) ألدوميلي ص٥٠٥.

(١٥٩) ألدوميلي ص٥٠٦، ٥١٣.

obeikandl.com

والفلكيين في القرن الثاني عشر الهجري ويذكر في طليعتهم رضوان [١٦٠]الفلكي المتوفى سنة ١١٢٢ صاحب الزيج الرضواني، ويقول الجبرتي إنه حرره على أصول الرصد السمرقندي وزيجة المشهور الذي صنعه أوليغ بك سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م. وبنوه الجبرتي بأن أباه كان يملك نسخة من هذا الزيج النفيس، وكذلك كان يملك نسخة منه حسن [١٦١]أفندي قطة. فكان بالقاهرة منه نسختان غير النسخة التي كان يملكها- فيما نظن- رضوان الفلكي. ويشيد الجبرتي بأبيه في الرياضيات والفلك، وبتلميذ من تلاميذ رضوان هو جمال الدين يوسف [١٦٢]الكلارجي المتوفى سنة ١١٥٣ ويقول إنه اخترع ما لم يسبق به، ويذكر أنه ألف كتابا في الظلال ورسم المنحرفات والبسائط والمزاول والأسطحة، وأن له في منازل القمر كتابا أسماه "كنز الدرر في أحوال منازل القمر".

وينوه طويلا بحسين [١٦٣]المحلى المتوفى سنة ١١٧٠ هـ ومعارفه في الجبر والمقابلة الحساب ومصنفاته، كما ينوه بتلميذه محمد [١٦٤]بن موسى الجناجي المتوفى سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦ من ومؤلفاته في الرياضيات. ويذكر الجبرتي في القرن المذكور أسماء رياضيين آخرين مما يدل على أن مصر ظلت تعنى بالرياضيات والهيئة والفلك طوال أيام العثمانيين. ويبدو أن الجبرتي وغيره ممن ترجموا لعلماء القرنين السابقين لتاريخه العاشر والحادي عشر لم يعنوا بالترجمة للأطباء. إلا ما قد يذكرونه عفوا مثل شهاب

---

(١٦٠) تاريخ الجبرتى (طبعة بولاق) ١/ ٧٤.

(١٦١) الجبرتى ٢/ ٧٠.

(١٦٢) الجبرتى ١/ ١٦٤.

(١٦٣) الجبرتى ١/ ٢١٩.

(١٦٤) الجبرتى ٢/ ١٢٥.

obeikandl.com

الدين به سلامة [١٦٥] القليوبي المتوفى سنة ١٠٥٩ هـ وله عدة كتب طبية كانت رائجة في زمنه، وأهم من هذه الكتب وكان أكثر منها رواجا كتاب التذكرة الطبية للأنطاكي [١٦٦] داوين بن عمر المتوفى سنة ١٠٠٨. ومن يقرأ الجبرتي وتراجمه في القرن الثاني عشر الهجري يراه يذكر طبيبا يسمى قاسم [١٦٧] بن محمد المتوفى سنة ١١٩٣ وكأن عناية مصر بالطب ظلت إلى أواخر العهد العثماني، وليس ذلك فحسب، فإن الجبرتي يذكر أنه عُهد إليه تدريس الطب بالمارستان المنصوري، ومعنى ذلك أن مارستان المنصور قلاوون الذي مر بنا ذاكره وإشادة ابن بطوطة وغيره به ظل قائما طال أيام العثمانيين، وظل قائما معه تدريس الطب لطلابه فيه، بالضبط كما كان الشأن أيام المنصور قلاوون ومن تلاه من المماليك.

(ب) علم الجغرافيا :

ولم نتحدث حتى الآن عن علم الجغرافيا ونشاط مصر فيه والمصريين. ولعل أول ما يلقانا من ذلك ما نقرؤه في القسم الثالث من كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ للهجرة وفيه يتحدث عن خطط الفسطاط والجيزة والإسكندرية. ولمعاصره محمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة ٢٥٠ كتاب بعنوان الخطط [١٦٨] سقط من يد الزمن. ونزل مصر وأستقر بها في سنة ٣٣٤ المسعودي على بن

---

(١٦٥) خلاصة الأثر ١/ ١٧٥.

(١٦٦) أنظر مصادر ترجمة داود الأنطاكى فى قسم الشام ص ٥٦٠.

(١٦٧) الجبرتى ٢/ ٥٤.

(١٦٨) تاريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكى ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (نشر لجنة التأليف والترجمة

obeikandl.com

الحسين المتوفى سنة ٣٤٥ ويشتهر بكتاباته التاريخية وحشده فيها كثيرا من المعارف الجغرافية عن الأرض وجبالها وأغوارها وبحارها وأنهارها وسكانها وأحوالهم الاجتماعية. وفي مصر أو بعبارة أدق في الفسطاط نقَّح كتابه "مروج الذهب" سنة ٣٣٦ وهو في التاريخ العام للأمم والدول وبه معلومات جغرافية كثيرة. وفي الفسطاط ألف كتابه "التنبيه والإشراف" وهو ملئ بالمعارف الجغرافية الفلكية والطبيعية والوصفية، وبه معلومات قيمة عن مصر وما بها من محصولات وتجارات وصناعات. وتدخل مصر في العهد الفاطمي وسرعان ما ترسل الدولة الفاطمية بابن سليم [١٦٩]الأسواني في سنة ٣٦٥ إلى النوبة في مهمة دبلوماسية ويتغلغل في السودان ويؤلف كتابه "أخبار النوبة والمُقُرَّة وعَلْوة والبَجَّة والنيل" يصف فيه تلك البلاد وسكانها، وينقل عنه المقريزي وابن إياس مرارا، وهو أول كتاب يصور المجرى الأعلى للنيل. ويكتب عن السودان بعده فترة قليلة رحالة مصري هو الحسن المهلبي في كتابه "المسالك والممالك" الذي أهداه إلى العزيز الفاطمي سنة ٣٧٥ ولذلك قد يسمى بالعزيزي وهو- كما يقول آدم ميتز- يصف بلاد السودان وصفا دقيقا. وهو أكبر مصدر اعتمد عليه ياقوت في كلامه عن السودان [١٧٠].

والنشر) ١/ ١٦٨.

(١٦٩) كراتشكوفسكى ١/ ١٩٢ وبروكلمان ٤/ ٢٥٣.

(١٧٠) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم ميتنز ترجمة د. أبى ريدة ٢/ ٧-٨.

obeikandl.com

وتعود مصر في القرن التالي إلى الكتابة عن الخطط أو تخطيط المدن ويؤلف القضاعي [١٧١] كتابه خطط مصر. ويخلفه في القرن السادس الهجري جغرافي مصري كبير هو أبو الفتح نصر [١٧٢] بن عبد الرحمن الإسكندراني المتوفى سنة ٥٦١ ويشيد ياقوت في مقدمته لمعجم البلدان بكتاب جغرافي له سماه "ما ائتلف واختلف من أسماء البقاع" وله كتاب ثان أهم منه ألفه توضيحا له سماه "كتاب الأمكنة والمياه والجبال والآثار المذكورة في الأخبار والأشعار" ومنه نسخة محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني تضم ٢٩٣٨ اسما ولاحظ وستنفلد ناشر معجم البلدان أن ياقوت ضمن معجمه مادة هذا الكتاب [١٧٣]. وينزل مصر في أواخر القرن السادس الهجري عبد [١٧٤] اللطيف البغدادي ويُعْنى بتأليف كتيب عنها يسميه: "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر". والكتيب موزع على مقاتلين تحدث مؤلفه في أولاهما عن طبيعة مصر وسكانها ونباتها وحيوانها وآثارها وعمرانها، وفي الثانية تحدث عن النيل وعما أصاب مصر في مقامه بها من قحط ووباء مروعين.

ولا يلقانا بمصر جغرافيون مهمون في القرن السابع الهجري ويتكاثرون في القرن الثامن، وفيه نلتقي بابن [١٧٥] المتوج محمد بن عبد الوهاب الزبيري المتوفى سنة ٧٣٠

---

(١٧١) كراتشكوفسكى ١/ ١٦٩ وابن خلكان ٤/ ٢١٢.

(١٧٢) انظر مقدمة كتاب معجم البلدان وخريدة القصر للعماد الأصبهانى (قسم مصر) ٢/ ٢٢٥ وبغية الوعاء للسيوطى ص ٤٠٣ وكراتشكوفسكى ١/ ٣٢٢.

(١٧٣) انظر كراتشكوفسكى ١/ ٣٢٣ ومقدمة وستنفلد للجزء الخامس من معجم البلدان.

(١٧٤) ابن أبى أصيبعة ٦٨٣ وكراتشكوفسكى ١/ ٣٤٥.

(١٧٥) الدرر الكامنة لابن حجر (نشر دار الكتب الحديثة) ٤/ ١٥٥ وحسن المحاضرة للسيوطى ١/ ٥٥٥

obeikandl.com

وكتاب له عن خطط مصر إلى أعوام بضعة وعشرين وسبعمائة. وكان في زمنه النويري [١٧٦] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ٧٣٣ صاحب الموسوعة الكبرى: "نهاية الأرب" التي مر ذكرها في الحركة العلمية والتي أهداها إلى السلطان محمد الناصر بن قلاوون، وهى مقسمة إلى خمسة فنون، والفن الأول عن السماء والأرض، وهو مكتظ بالمعلومات الجغرافية عن الأرض وتكوينها الطبيعي وبلدانها وسكانها. وكان يعاصره ابن فضل [١٧٧] الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ رئيس ديوان الإنشاء للسلطان الناصر وله أيضاً موسوعة كبرى مر ذكرها في الحركة العلمية سماها "سالك الأبصار" وفيها عرض جغرافي عام للبلدان والأمم الإسلامية والأجنبية في الغرب والشرق. وتهتم الدولة في هذا القرن الثامن بعمل روكات أو بعبارة أخرى بعمل سجلات لمسح الأراضي المصرية، ومن أهمها الروك [١٧٨] الناصري سنة ٧١٥ في عهد السلطان الناصر بن قلاوون. ويظل النشاط الجغرافي بمصر في القرن التاسع الهجري، ونلتقي في أوائله بابن دقماق [١٧٩] وإلى دمياط وبعض بلدان الشام المتوفى سنة ٨٠٩ وهو يعني بخطط مصر في كتابه" الانتصار لواسطة عقد الأمصار" وتحتفظ دار الكتب المصرية منه بالجزءين الرابع والخامس وفيهما يصور خطط القاهرة والإسكندرية. ويعنى معاصره

وكراتشكوفسكى ١/ ٣٨٥.

(١٧٦) ابن حجر ١/ ٢٠٩ والسيوطى ١/ ٥٥٦ والخطط الجديدة لعلى مبارك ١٧/ ١٥ وكراتشكوفسكى ١/ ٤٠٨.

(١٧٧) انظر مراجع ابن فضل الله فى ترجمته بالفصل الخامس.

(١٧٨) كراتكشوفسكى ١/ ٣٨٥.

(١٧٩) الشذرات ٧/ ٨٠ وكراتشكوفسكى ٢/ ٤٧١ ودائرة المعارف الإسلامية.

obeikandi.com

القلقشندي [١٨٠] شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على الكاتب بـديوان الإنـشاء المتـوفى عام ٨٢١ بوصف جغرافي متفرق لمصر والبلاد العربية وبلاد التتـار والهنـد والـسودان والحبشة وبعض البلدان الأوربية الغربية والشرقية.

ولا نلبث أن نلتقي بالمقريزي [١٨١] تقي الدين بن علاء الدين المتوفى سنة ٨٤٥ وكتابُـه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المشهور باسم الخطط موسوعة كـبرى لمـصر وجغرافيتها وخططها وتاريخهـا وحاضرتهـا وأثارهـا ومـساجدها وكنائـسها وأديرتهـا ومنشآتها وأعيادها وأحوالها الاجتماعية. ويعنى خليل [١٨٢] بن شـاهين الظـاهري المتـوفى سنة ٨٧٢ في كتابه "زبدة المالك في كشف الطرق والمسالك" برسم الجغرافية الإداريـة لأراضى دولة المماليك في مصر والشام. ويختتم القرن التاسع الهجري بـابن الجيعـان [١٨٣] المتوفى ٩٠٢ وله "التحفة الـسنية بأسـماء الـبلاد المـصرية" ووصـف لرحلـة الـسلطان قايتباي في سنة ٨٨٣ إلى بلاد الشام سماه "القول المستطرف في سفر مولانـا الأشرف". وينتهي الجغرافيون في العهد المملوكي بابن [١٨٤] إياس محمد بـن أحمـد المتـوفى سـنة ٩٣٠ وله كتاب "نشق الأزهار في عجائب الأقطار" ولا يزال غير مطبوع، وفيه يتحدث عـن

---

(١٨٠) انظر مراجع القلقشندى فى ترجمته بالفصل الخامس.

(١٨١) الضوء اللامع للسخاوى جـ٢ رقم ٦٦ والمنهل الصافى لابن تغرى بردى (طبع دار الكتب المـصرية) ١/ ٣٩٤ والسيوطى ١/ ٥٥٧ والشوكاني ١/ ٧٩ والمؤرخون فى مصر لزيادة ص٣.

(١٨٢) الضوء اللامع جـ٣ رقم ٧٤٨ زيادة ص ٢٣. وكراتشكوفسكى ٢/ ٤٧٢.

(١٨٣) الكواكب السائرة ١/ ١٢٠ وكراتشكوفسكى ٢/ ٤٧٥.

(١٨٤) زيادة ص٤٦ وكراتشكوفسكى ٢/ ٤٩٠ ودائرة المعارف الإسلامية.

obeikandl.com

الجغرافية الفلكية والطبيعية لمصر والعالم، ومن أهم ما يشتمل عليه ثبت بمقاييس النيل وفيضانه على مر السنين.

ويكاد يتوقف هذا النشاط الجغرافي بمصر في عهد العثمانيين، غذ تحولت ولاية تابعة لهم، ولم يعد أبناؤها يشعرون بمكانتهم التي كانت لهم زمن المماليك، إذ كان يدين جزء كبير لهم من البلاد العربية بالطاعة وفي مقدمته الشام والحجاز. ومع ذلك لا ينعدم هذا النشاط، بل تظل منه بقايا إذ نجد ابن [١٨٥]زنبل المتوفى ستة ٩٦٠ يصنف في الجغرافيا كتابا اسماه "تحفة الملوك والرغائب لما في البر والبحر من العجائب" ولا يزال مخطوطا لم ينشر. ونلتقي في القرن الحادي عشر بالسنهوري [١٨٦]محمد بن أحمد وله كتاب في منازل البريد بين القاهرة ومكة. وكان يعاصره شهاب الدين القليوبي المار ذكره بين أطباء الحقبة العثمانية وله كتاب جغرافي في مناسك الحج ومنازله ورسالة في معرفة أسماء البلاد: أطوالها وانحرافاتها، تبدو الرسالة كأنها زيج صغير، وهى بذلك تدخل في الجغرافية الفلكية، كما يدخل النشاط في الفلك والهيئة الذي عرضنا له مع الرياضيات عند الفلكي والرياضي الكبير رضوان وأمثله من الفلكيين. وبذلك ظلت الجغرافية الفلكية ناشطة وخاصة فيما يتصل بالزيجات، ونشطت معها كتب الرحلات، ومن أهمها رحلة لمصطفي [١٨٧]أسعد اللقيمي الدمياطي المتوفى سنة ١١٧٣ جعل عنوانها: "موانح الأنس برحلتي لوادي القدس" وقد استغرقت الرحلة ستة أشهر في سنة

(١٨٥) زيادة ص٧٥ وتاريخ الأدب الجغرافى العربي لكراتشكوفسكى ٢/ ٦٨٣.

(١٨٦) كراتشكوفسكى ٢/ ٦٩٢.

(١٨٧) انظر فيه تاريخ الجبرتى ١/ ٢٢١ – ٢٤٢ وراجع كراتشكوفسكى ٢/ ٧٥٥.

١١٤٩ بدأها من موطنه دمياط إلى القدس، وعُنى باختصار كتاب الأنس الجيل في زيارة بيت المقدس والخليل لأبى اليمن مجير الدين الحنبلي، وسمي مختصره "لطائف أنس الخليل في تحايف القدس والخليل". وواضح أن الجغرافيين المصريين أخذوا يعنون في العصر العثماني بجغرافية الأراضي المقدسة في فلسطين والحجاز.

obeikandl.com

٣

علوم اللغة والنحو والبلاغة والنقد:

أخذت مصر تعنى بدراسات اللغة والنحو مع عناية مدرستي البصرة والكوفة بهما. مما دفع فيها إلى نشوء طبقة من المؤدبين، وأخذت هذه الطبقة تتكاثر منذ القرن الثاني للهجرة، فكانت تلقن الشباب في الفسطاط والإسكندرية مبادئ العربية، وأنضم إليهم في هذا التلقين بعض العلماء الذين هجروا إلى الديار المصرية مثل عبد[١٨٨] الرحمن بن هرمز الأعرج تلميذ أبي الأسود الدؤلي. نزيل الإسكندرية المتوفى بها سنة ١١٧ للهجرة. وطبيعي أن يظل نشاط هؤلاء المؤدبين مطردًا طوال القرن الثاني للهجرة، لسبب واضح هو عناية المصريين بقراءات القرآن الكريم ضبط ألفاظه لغويا ونحويا. ولمدارستهم لتفسير القرآن الكريم وللفقه، وسنرى فيما بعد نشاطهم الجم في هذه الميادين. ولم تُعْن كتب التراجم بأسماء هؤلاء المؤدبين وإحصائهم، ولكن لا شك في أنهم كانوا كثيرين. وقد ترجم السيوطي في كتابه البغية لواحد منهم هو سرج الغول الذي لحق زمن الإمام الشافعي حين نزل الفسطاط سنة ١١٩ وكان عالما بالغلة ولم يكن أحد بالفسطاط يظهر شعره إلا بعد عرضه عليه ورضاه عنه، ويقال إنه كان يذاكر الشافعي في اللغة والشعر، وإنه كان يعجب بمعارفه، وروى أنه كان يقول عنه حين يقوم من مجلسه: نحتاج إلى أن نستأنف طلب العلم، وحسبه تلك الشهادة الرفيعة من

---

(١٨٨) راجع ابن هرمز فى أخبار النحويين البصريين للسرافى ص ٢١ وتذكرة الحفاظ ١/ ٩١ وطبقات القراء لابن الجزرى ٤/ ٣٨١ وانباه الرواة ٢/ ١٧٢ وما به من مراجع.

obeikandl.com

الإمام الشافعي. وممن كان يجتمع به الشافعي في الفسطاط من اللغويين عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية المشهورة، ويقول السيوطي عنه إنه كان إماما في اللغة والنحو والعربية ويذكر أنه كان يتناشد هو والشافعي كثيرا من أشعار العرب [١٨٩]. ويزور محمد بن يحيى اليزيدي مصر في العقد الثاني من القرن الثالث في صحبة المعتصم سنة ٢١٤ ويتخذ دار مقام له حتى وفاته [١٩٠] ويُحدث بها ضرًا من الثراء في حياتها اللغوية إذا كان لغوياً كبيراً مثل أبيه وأخيره إبراهيم، وله كتاب المقصور والممدود، وأغلب الظن أنه روى للمصريين كتاب أبيه: "النوادر في اللغة" وأيضاً كتاب أخيه إبراهيم في اللغة الذي سماه "ما أتفق لفظه وأفترق معناه" جمع فيه كل الألفاظ المشتركة في الاسم- كما يقول ابن خلكان- المفترقة أو المختلفة في المعنى، وهو من الكتب اللغوية الجيدة. ويزور مصر ابن جرير الطبي في العقد السادس من القرن الثالث، وكان يحفظ ديوان الطرماح فطلب إليه المصريون أن يأخذوه عنه، فرواه لهم مفسراً غريبة [١٩١].

ونلتقي في الفسطاط لأواسط القرن الثالث بعالم مصري لغوى ونحوى كبير هو ولاد [١٩٢] التميمي المتوفى سنة ٢٦٣ لعهد الدولة الطولونية، وكان قد رحل إلى العراق وسمع بها العلماء وأخذ ما عندهم، ويقال إنه لم يكن بمصر شيء كبير من كتب اللغة والنحو قبله، ويذكر حفيده أحمد أنه توارث هو وأبوه عنه ديوان رُؤبة. مما يدل على

---

(١٨٩) له كتاب سماه "ما وقع فى أشعار السير من الغريب" وانظر مصادر ترمته فى مر ١٥١.

(١٩٠) أنظر انباه الرواة ٣/ ٢٣٦ وتاريخ بغداد ٣/ ٤١٢.

(١٩١) معجم الأدباء لياقوت ١٨/ ٥٣.

(١٩٢) انظر ترجمة ولاد فى إنباه الرواة ٣/ ٣٥٤.

obeikandl.com

عنايته برواية دواوين الشعر القديم، وخاصة الدواوين التي تكتظ بالغريب مثل ديوان رُؤبة. ونلتقي بعده بلغوي مصري معجمي أو من أصحاب المعاجم هو أبو الحسن على [١٩٣]بن الحسن الهُنائي الأزدي المعروف باسم كُراع النمل لقصره ودمامته، وهو وإن كان دميا قصيرا فقد كان عالما لغويا لا يشق غباره، ألف أربعة معاجم، ويقول القفطي في ترجمته بإنباه الرواة إنه يملكها جميعا، وهى المنضد في اللغة، وهو معجم كبير رتبه على الحروف الهجائية، ومعجم مختصر له سماه المجرد، جرده من الشواهد، ومعجم ثالث لأمثلة الغريب على أوزان الأفعال سماه الأوزان. والمعاجم الثلاثة مفقودة. أما المعجم الرابع فسماه المنجد، قصره على ما أتفق لفظه واختلف معناه أو بعبارة أخرى على المشترك اللفظي، وهو معجم نفيس، وقد نشر في القاهرة. والألفاظ المشتركة فيه مرتبة حسب الحروف الهجائية والرباعية كما هو معروف في المعجم العربية، بل ترتب حسب صورها اللفظية. وكأنه أراد بذلك اليسر والسهولة، وتابعه أصحاب المعاجم- باستثناء الأزهري في معجمه تهذيب اللغة- في ترتيب الألفاظ حسب الحروف الهجائية مثل الجوهري في الصحاح والزمخشري في أساس البلاغة، غير أن الجوهري رأى أن يكون الترتيب الهجائي للألفاظ بحسب أواخرها ورأى الزمخشري أن يكون الترتيب بحسب أوائلها مثل كُراع النمل.

وتلتحم مباحث اللغة بمباحث النحو أو بعبارة أدق تظل ملتحمة في القرن الرابع على نحو ما يتضح عن أبى العباس أحمد [١٩٤]بن محمد بن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢ وأبى

---

(١٩٣) راجع ترجمة الهُنائى فى إنباه الرواة ٢/ ٢٤٠ ومعجم الأدباء ١٣/ ١٢.

(١٩٤) انظر فى ترجمة ابن ولاد معجم الأدباء ٤/ ٢٠١ وإنباه الرواة ١/ ٩٩ وما به من مراجع.

obeikandl.com

جعفر أحمد [١٩٥] بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨. أما ابن ولاد فقد خرجه أبوه محمد نحويا ولغويا ماهرا، ولم يكتف بما أخذه عن أبيه وبعض العراقيين النازلين مصر فرحل إلى بغداد ودرس على كبار اللغويين والنحاة بها، وتسامع به وبزميله أبى جعفر النحاس أهل المغرب والأندلس فرحلوا إليهما يأخذون عنهما ويدرسون. وكان ابن ولاد يضيف إلى دراسته لكتاب سيبويه عرضه دواوين الشعراء القدماء وكان يقول لطلابه: ديوان رؤبة رواية لي عن أبى عن جدي. ونشر مجمع اللغة العربية بدمشق ديوان ذي الرمة، وسنرى عما قليل أن ابن ولاد كان الطريق إلى إحدى روايتيه، وبذلك كان يدس لطلابه في الفسطاط أصعب ديوانين عربيين لغويا، واشتهر في زمنه روايته لمعجم العين المنسوب إلى الخليل، وعنه حمله منذر بن سعيد قاضي الجماعة بالأندلس المشهور. ومن مصنفاته اللغوية كتاب المقصور والممدود، وهو معجم لها مرتب على الحروف الهجائية مثل كتاب المنجَّد لكُراع النمل، وكأنه تابعه في ترتيب معجم تيسيراً للانتفاع به. أما أبو جعفر النحاس فكان واسع العلم في اللغة والنحو والدراسات القرآنية، وقد رحل إلى العراق مثل ابن ولاد وحمل عن علمائها علما كثيرا، وكان يعنى في دروسه بشرح الشعر القديم، إذ فسَّر عشرة دواوين منه كان يمليها على طلابه. ومن أهم مصنفاته اللغوية "شرح القصائد التسع المشهورات وتشتمل على المعلقات السبع، وهى منشورة بغداد، ونُشر له كتاب "شرح أبيات سيبويه": وهى أبيات كتابه المشهور.

---

(١٩٥) راجع فى ترجمة ابن جعفر النحاس إنباه الرواة ١/ ١٠١ ومعجم الأدباء ٤/ ٢٢٤ وابن خلكان ١/ ٩٩.

obeikandi.com

وعلى هذا النحو أخذت مصر تنشط في الدراسات اللغوية، ونشعر بهذا النشاط واضحا حين نزلها المتنبي، فقد انعقدت له حلقة كبيرة لسماع شعرهن وسرعان ما تكونت له بطانة من علماء مصر اللغويين وأدبائها تروى شعره. مثل عبيد الله بن محمد بن أبى الجوع وفيه يقول الثعالبي: "أحد رواة المتنبي الأدباء وأصحابه العلماء وممن تمهر في لغات العرب[١٩٦]" ومثل صالح بن رُشدي، وفيه يقول الثعالبي أيضاً: "أحد أئمة الكتاب المهرة في سائر الآداب، صحب المتنبي وروى شعره[١٩٧]". وكانت تدور المناقشات أحياناً بين المتنبي وبعض اللغويين، ولعل ذلك ما جعله يعقد حلقة علمية لقراءة كتاب المقصور والممدود لابن ولاد سنة ٣٤٧ وقد مضى يعلق عليها موضحاً ما يه من الغلط، وكتب ذلك عنه أبو الحسين على[١٩٨] بن أحمد المهلبي اللغوي المتوفى سنة ٣٨٥ وأضاف إلى ذلك زيادات ونَسب الجميع إليه، وعلى نحو ما يصور ذلك على بن حمزة البصري في كتابه "الرد على ما في المقصود والممدود لابن ولاء".

ويقول ياقوت في ترجمة المهلبي إنه كان إماما في النحو واللغة ورواية الأخبار وتفسير الأشعار كما يقول إنه تلميذ إبراهيم النجيرمي كاتب كافور المتوفى سنة ٣٥٥ وكان راوية كبيرا للدواوين والأشعار، وحملها عن أبو الحسن المهلبي المذكور آنفاً، وتلميذ ثان له يسمى جُنادة[١٩٩] اللغوي، وسنرى عما قيل أنه كان الطريق إلى إحدى

---

(١٩٦) اليتيمة ١/ ٣٩٥.

(١٩٧) اليتيمة ١/ ٣٩٩ وأخبار مصر فى سنتى ٤١٤، ٤١٥ للمسبحى (نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب) ص٩٦.

(١٩٨) انظر فى أبى الحسين المهلبى معجم الأدباء ١٢/ ٢٢٤ وإنباه الرواة ٢/ ٢٣٢.

(١٩٩) انظر ترجمة جُنادة فى معجم الأدباء ٧/ ٢٠٩ وكان تلميذا للأزهرى صاحب معجم التهذيب وروى

obeikandl.com

روايات ديوان ذي الرمة، ولعل في ذلك ما يدل على انه شارك بقوة في رواية الدواوين القديمة، وبالمثل تلميذه أبو الحسين المهلبي، وفي المهلبي يقول القفطي: أحد علماء الأدب واللغة والشعر، روى عنه المصريون وأكثروا.. والرواية عنه إلى زماننا هذا (أي في القرن السابع الهجري) ووصل للمصريين رواية كتب كثيرة من كتب الأدب. وحوالي منتصف القرن الخامس الهجري نزل بمصر التبريزي [٢٠٠]تلميذ أبى العلاء وأقام بها مدة ولعله روى فهيا أشعار المعرى كما روى كثيرا من معارفه اللغوية وشروحه على الدواوين والأشعار، مثل شرحه على المعلقات والمفضليات وديوان الحماسة وديوان أبى تمام، وقد مرّ بنا في الجزء الخامس من هذه السلطة نشاطه اللغوي الجمّ. ومن نزلاء القاهرة المغاربة اللغويين القزاز القيرواني المتوفى سنة ٤١٢ خدم المعز الفاطمي وابنه العزيز وصنف لهما كتبا، وعاد بعد خلافتهما إلى بلده، ومن تصانيفه كتاب الجامع في اللغة رتبه على حروف المعجم وهو- كما يقول ياقوت- كان يقارب معجم التهذيب للأزهري، ولعله كتاب الضاد والظاء وكتاب معان في شعر المتنبي وكتاب في المآخذ عليه.

وأكبر لغوى بالقاهرة في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس يوسف [٢٠١]النجيرمي المتوفى سنة ٤٢٣ وهو تلميذ أبى الحسين المهلبي وقد حمل عنه كل ما كان

عن أبى أحمد العسكرى كتبه، ونزل مصر ،اقام بها حتى توفى سنة ٣٩٩.

(٢٠٠) انظر فى نزول التربيزى مصر ابن خلكان ٦/ ١٩٣.

(٢٠١) راجع فى ترجمة يوسف النجيرمى ابن خلكان ٧/ ٧٥ وبغية الوعاء والأنساب للمسعانى فى النجيرمى والشذرات ٣/ ٧٥ وغير الذهبى ٢/ ٣٥٨.

obeikandl.com

يرويه من كتب الأدب واللغة ودواوين الشعر، وروى عنه المصريون عامة ما كان يرويه محتفين به لما كان يمتاز به من الدقة في الضبط اللغوي غاية الضبط إلى أقصى حد ممكن، وفي ذلك يقول ابن خلكان: "أكثر ما تُرْوَى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية وأيام العرب في الديار المصرية من طريقه". وكان ما يزال يراجع الروايات المختلفة للكتاب أو للديوان ويقابل بينها حتى يخرجه في أوثق صورة ممكنة. ومن الخير ما يصور هذا العمل المعقد الشاق ديوان ذي الرمة الذي نشره الدكتور عبد القدوس أبو صالح في مجمع اللغة العربية بدمشق نشرة علمية محققة أعتمد فيها على صنعته فيه، إذ أخرجه في صورة محكمة على أساس روايتين علميتين، ولكل رواية طريقان. أما الرواية الأولى فعن ثعلب عالم الكوفة المشهور وطريقها الأول أبو الحسين على بن أحمد المهلبي أستاذة عن ابن ولاد، وطريقها الثاني جعفر[٢٠٢] بن شاذان اللغوي البصري نزيل القاهرة عن أبى عمر الزاهد علام ثعلب. والرواية الثانية عن إبراهيم بن المنذر المتوفى سنة ٢٣٦ عن أسود بن ضَبْعان عن ذي الرمة، وطريقها الأول أبو الحسين على بن أحمد المهلبي عن إبراهيم النجيرمي. ولعل في ذلك ما يوضح مدى عناية أبى يعقوب يوسف النجيرمي بإخراج الدواوين للمصريين وإحكام صنعتها إحكاما لا يكاد يفوقه إحكام، وكان يعمم هذا الإحكام في كل ما رواه من الدواوين وكتب اللغة.

ويحمل أصحاب يوسف النجيرمي عنه كتب اللغة ودواوين الشعراء. ويخالفهم عليها تلاميذهم في القرن الخامس ومن تعهدوهم من علماء القرن السادس، ويطرد ها النشاط اللغوي بمصر. ويزورها غير عالم لغوى من البلاد العربية ويستقرون بها، وفي

---

(٢٠٢) انظر فى ترجمة جعفر بن شاذان إنباه الرواة ١/ ٢٦٥.

obeikandl.com

مقدمتهم على [٢٠٣]بن جعفر السعدي الصقلي المعروف باسم ابن القطاع، نشأ بصقلية وقرأ الأدب واللغة على علمائها وخاصة ابن البر اللغوي، ورحل عن صقلية لما اشرف النورمان على تملكها في حدود سنة ٥٠٠ ونزل القاهرة واتخذها دار مقام له وتصدر فيها للإفادة حتى توفي سنة ٥١٥ وأكرمه المصريون غاية الإكرام واتخذه الأفضل بن بدر الجمالي وزير الخليفة الآمر الفاطمي معلما لوالده، ومن طريقه اشتهرت في الآفاق رواية معجم الصحاح للجوهري، كان قد أخذها عن أساتذة ابن البرّ في صقلية، وله عدة تصانيف لغوية، منها كتاب الأسماء في اللغة، وكتاب الأفعال عُنى بنشره مجمع اللغة العربية في القاهرة ويتكاثر اللغويون من علمائها والعلماء النازلين بها بعد القطاع، وأشهرهم غير مدافع ابن برى [٢٠٤]عبد الله المصري المولد والمنشأة المولود سنة ٤٩٩ وفيه يقول ابن خلكان: الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية كان علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره". ويذكر ابن خلكان أنه رأى له "حواشي على درة الغواص في أوهام الخواص" للحريري، وأن له كتابا لطيفا في أغاليط الفقهاء. وقد كتب ردا على أبى محمد بن الخشاب، ردَّ فيه على كتابه الذي عدد فيه غلط الحريري في المقامات، وطبع هذا الرد ملحقا بمقامات الحريري مع نقد ابن الخشاب بالمطبعة الحسينية بالقاهرة. ومن أهم مصنفات حواش على معجم الصحاح للجوهري سماها

---

(٢٠٣) انظر فى ابن القطاع معجم الأدباء ١٢/ ٢٧٩ وابن خلكان ٣/ ٣٢٢ وإنباه الرواة ٢/ ٢٣٦ وما به من مراجع.

(٢٠٤) راجع فى ابن برى معجم الأدباء ١٢/ ٥٦ وابن خلكان ٣/ ١٠٨ واتباه الرواة ٢/ ١١٠ وشذرات الذهب ٤/ ٢٧٣ وبغية الوعاء ص ٢٧٨.

obeikandl.com

"التنبيه والإفصاح عما وقت في كتاب الصحاح" يقول ان خلكان: "وهى حواشٍ فائقة أتى فيها بالغرائب، واستدرك عليه فيها مواضع كثيرة، وهى دالة على سعة علمه وغزارة مادته وعظم إطلاعه" وهى من الكتب الخمسة التي ذكر ابن منظور في مقدمة لسان العرب أنه اعتمد عليها في تأليف معجمه اللسان. وتوجد منه مخطوطات تعين على نشرة حتى مادة وقش، وقد نُشر هذا القسم منه في جزءين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ويمكن استخراج بقيته من لسان العرب. ولا بن برى أيضاً حواش على كتاب المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي، ومن آرائه الطريقة أنه ينبغي المحافظة على نطق الكلمات الأعجمية حين تعريبها وإدخالها في العربية بجميع حروفها وحركاتها الخاصة. وقد عاش حقبة طويلة في زمن الدولة الأيوبية إذ توفي سنة ٥٨٢. ومن أهم تلاميذه اللغويين سليمان [٢٠٥]بن بنين الدقيق المتوفى سنة ٦١٤ وله مصنفات لغوية مختلفة، منها كتاب الوضاح في شرح أبيات الإيضاح لأبى على الفارسي وكتاب إغراب العمل في شرح أبيات كتاب الجمل للزاجي، وأهم من هذين الكتابين كتابه: "اتفاق المباني وافتراق المعاني في اللغة" ومنه مخطوطتان بدار الكتب المصرية.وله كتب عدة في العروض، منها كتاب الروض الأريض في أوزان القريض، والكتاب الوافي في علم القوافي.

وظل هذا النشاط اللغوي ينمو بمصر ويتسع نموه طوال القرن السابع الهجري وزمن الأيوبيين والمماليك إلى أن توج بكتاب لسان العرب لابن [٢٠٦]منظور المتوفى سنة

---

(٢٠٥) انظر ابن بنين فى معجم الأدباء ١١/ ٢٤٤ وفى بغية الوعاء ٢٦١.

(٢٠٦) راجع ابن منظور فى نكتب الهميان ص ٢٧٥ والدرر الكامنة ٥/ ٣١ وحسن المحاضرة ١/ ٥٣٤

obeikandl.com

٧١١ وهو مطبوع في عشرين مجلدا، وهو أكبر معجم لغوى عربي ظهر في الأزمنة الماضية، وقد أتم مؤلفه تصنيفه سنة ٦٨٩ للهجرة، وذكر في مقدمته أنه جمع فيه بين معجم التهذيب للأزهري ومعجم الصحاح للجوهري والمعجم المعروف باسم المحكم لابن سيده وحواشي الصحاح لابن برى والنهاية في غريب الحديث النبوي لابن الأثير، وهو معجم تنوء به الجماعة أولوا القوة، ولابن منظور بجانبه مصنفات كثيرة من أهمها مختصر الأغاني.

ويظل لمصر نشاط لغوى غزير بعد ابن منظور، وتظل لها مشاركة في وضع المعاجم لا المعاجم اللغوية فقد كفاها ابن منظور المئونة في ذلك فحسبها معجمه، بل في وضع المعاجم المتخصصة مثل المصباح المنير في غريب الشرح الفقهي الكبير للرافعي صنفه أحمد [٢٠٧]بن محمد الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ وهو ليس في ألفاظ الإمام الرافعي الشافعي فحسب، بل هو يتضمنها ويتضمن بصفتها مختصرة ألفاظ العربية في عرض حسن، وألحق به خاتمة كثيرة الفوائد اللغوية.

وما يزال النشاط اللغوي الخالص في مصر يزداد حتى يبلغ ذروة رفيعة عند جلال الدين عبد الرحمن [٢٠٨]السيوطي المتوفى سنة ٩١١ للهجرة وهو أغزر العلماء المصريين زمن المماليك بعامة تأليفها وتصنيفها في جميع الميادين الإسلامية واللغوية، ومن خير مصنفاته اللغوية بل من خير المصنفات اللغوية في جميع الحقب بمصر وغير مصر كتابه

والبغية ص ١٠٦ وقوات الوفيات ٢/ ٥٢٤ والوافى ٥/ ٥٤ والشذرات ٦/ ٢٦.

(٢٠٧) انظر الفيومى فى الدرر الكامنة لابن حجر (نشر دار الكتب الحديثة) ١/ ٣٣٤.

(٢٠٨) انظر مصادر ترجمة السيوطى مع الحديث عنه ص٤٥٥.

obeikandi.com

"المزهر في علوم اللغة وأنواعها" وهو مطبوع مراراً بالقاهرة، وفيه يعرض كل ما اتصل باللغة من علوم وضعت لمعرفة الصحيح وغير الصحيح والمعرب والمولد والاشتقاق والمشترك والأضداد والمترادف والقلب والنحت والإتباع والإبدال وغير ذلك من علوم اللغة ومسائلها الدقيقة. وأهم من ذلك كله أنه حاول محاولة خصبة أن يطبق علم مصطلح الحديث وما وضع فيه لروايته من أصول على اللغة وروايتها، ويفيض في ذلك إفاضة واسعة، ففي ألفاظ اللغة- كالحديث النبوي- متواتر وآحاد ومرسل ومنقطع وضيف ومنكر ومتروك ومطرد وشاذ. ويتحدث عمن تُقْبل روايته ومن تُرَدُّ، وعن معرفة طرق أخذ اللغة وتحملها وعن المنتحل المصنوع في اللغة ،اشهر من نحل الشعر وأفسده. والكتاب فريد في بابه ومباحثه. ونمضى بعد السيوطي في زمن العثمانيين، ويظل لعلماء اللغة في مصر نشاطهم، ومن خير من يمثلهم شهاب[٢٠٩] الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ ومن مؤلفاته الرائعة كتابه "شفاء الغليل بما في كلام العرب من الدخيل" وقد صدره بمقدمة تحث فيها عن التعريب وشروطه، وله شرح على درة الغوا في أوهام الخاص للحريري. وتظل مصر مع ما أصابها زمن الاحتلال العثماني حاملة مشاعل الثقافة العربية في اللغة وغير اللغة، وينزلها كثيرون من علماء الديار العربية، وممن نزلها- كما مر بنا في الجزء الخامس من هذه السلسلة- السيد مرتضى الزبيدي اليمنى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠م إذ اتخذها دار مقام له سنة ١١٦٧ حتى إلى نداء ربه، وأكرمه المصريون وعلماؤها، وعكف منذ نزلوه على شرح القاموس المحيط للفيروزابادي. وما زال عاكفا على عمله حتى أتمه سنة ١١٨١ وهو مطبوع في عشرات

(٢٠٩) انظر مصادر ترجمة الخفاجي ص ٤٥٩.

obeikandl.com

مجلدات، وقد سماه باسم "تاج العروس". وهو يتلو لسان العرب في كبر حجمهن وفي الجبرتي تقريظا كثيرة للمصريين فيه. وكأنه أتيح لمصر أن تضع أكبر معجمين للعربية: اللسان في زمن المماليك وتاج العروس في زمن العثمانيين، كما أتيح لها أن تضع أكبر دائرة معارف في المباحث اللغوية ونقصد كتاب المزهر للسيوطى.

ومَّر بنا في صدر هذا الحديث أنه كانت بمصر طبقة من المؤدبين أخذت تتكاثر في القرنين الثاني والثالث، وكانت تعلم الناشئة اللغة والنحو، ومنذ أواسط القرن الثالث يصبح لمصر نحاتها من أبنائها ونزلائها في مقدمتهم ولاد التميمي الذي مر ذكره في اللغويين، وكان نحويا كبيرا كما كان لغويا كبيرا، وكان يعاصره أحمد[٢١٠] بن جعفر الدينوري نزيل الفسطاط المتوفى سنة ٢٨٩ وقد درس على المازني بالبصرة كتاب سيبويه ولما استوطن مصر واستقر بها صنف لطلابه كتابا في النحو سماه المهذب، وعنه حمله المصريون. ويلقانا في زمنه محمد[٢١١] بن ولاد آنف الذكر المتوفى سنة ٢٩٨ وقد أخذ كل ما عند أبيه وعند أبى جعفر الدينوري، ورحل إلى بغداد وقرأ على المبرد كتاب سيبويه وعادل إلى الفسطاط يدرس النحو، وصنف لطلابه كتابا سماه المنمق. ونزل الفسطاط في سنة ٢٨٧ الأخفش[٢١٢] الصغير على بن سليمان، وظل بها حتى سنة ٣٠٠ للهجرة، يعلم الطلاب النحو واللغة، وله شرح على كتاب سيبويه، لعله أملاه بمصر. ونمضى في

(٢١٠) انظر الديرونى فى معجم الأدباء ٢/ ٢٣٩ وإنباه الرواة ١/ ٣٣ وما به من مراجع.

(٢١١) راجع محمد بن ولاد فى تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٢ ومعجم الأدباء ١٩/ ١٠٥ وإنباه الرواة ٣/ ٢٢٤ وما به من مراجع.

(٢١٢) انظر الأخفش الصغير فى تاريخ بغداد ١٢/ ٤٣٣ وابن خلكان ٣/ ٣٠١ ومعجم الأدباء ١٣/ ٤٦١ وإنباه الرواة ٢/ ٢٧٦.

obeikandl.com

القرن الرابع الهجري فليقانا أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد المار ذكره، وكان نحويا كبيراً كما كان لغويا كبيراً وإليه صارت نسخة أبيه من كتاب سيبويه في كتابه الذي سماه "مسائل الغلط". وله آراء [٢١٣]نحوية طريقة. وكان يعاصره كما مر بنا أبو جعفر النحاس اللغوي والنحوي الكبير، وكأنة يمزج في كتبه النحوية بين آراء البصريين والكوفيين وأحيانا ينفذ إلى آراء اجتهادية جدية مما يجعله بحق طليعة [٢١٤]المدرسة البغدادية في مصر كما يتضح من كتابه الصغير "التفاحة في النحو" وكتابه الكبير الرائع النفيس: "إعراب القرآن". ويبدو أن اسمه واسم معاصره ابن ولاد طار إلى المغرب والأندلس فرحل إليهما كثيرون من الطلاب يأخذون عنهما، ومر بنا أن منذرين سعيد قاضي الجماعة بالأندلس حمل عن ابن ولاد كتاب العين للخليل بن أحمد، فمصر هي التي أذاعته في الأندلس والمغرب. وحمل محمد بن يحيى الرباحي عن أبى جعفر النحاس كتاب سيبويه رواية ودراية ودرسه [٢١٥]لطلابه بقرطبة، وشاعت رواية هذه النسخة بحيث أصبحت أم الدراسات النحوية في الأندلس وما رافقها هناك من نهضة في النحو ومباحثه.

وأول نحوى كبير يلقانا في زمن الفاطميين الحوفي [٢١٦]على بن إبراهيم المتوفى سنة ٤٣٠ تصدر لإقراء النحو وصنف فيه كتابا كبيرا استوفي فيه- كما قال من ترجموا له- العلل والأصول. وله مصنفات أصغر منه في النحو اشتغل بها المصريون، وله في

---

(٢١٣) انظر كتابنا المدارس النحوى ص ٣٣٠.

(٢١٤) المدارس النحوية ص٣٣٢.

(٢١٥) إنباه الرواة ٣/ ٢٣٠.

(٢١٦) انظر الحوفى فى الأنساب للسمعانى الورقة ١٨١ ومعجم الأدباء ١٢/ ٢٢١ وابن خلكان ٣/ ٣٠٠ وإنباه الرواة ٢/ ٢١٩ والذرات ٣/ ٢٣٤.

obeikandl.com

إعراب القرآن كتاب في عشرة مجلدات، ويبدو ما نقله عنه ان هشام من آراء نحوية أنه كان بغدادي [٢١٧]النزعة يختار بعض آراء البصريين والكوفيين ويحاول النفوذ إلى بعض آراء جديدة. وكان يعاصره الذاكرة [٢١٨]النحوي المصري تلميذ ابن جنى المتوفى سنة ٤٤٠ وكان يتصدر لإقراء العربية، وأغلب الظن أنه حمل إلى المصريين كتب أساتذة ابن جنى فأخذوا يدرسونها مبكرين. وأنجبت مصر حينئذ نحوياً كبيرا هو ابن بابشاذ [٢١٩] طاهر ن أحمد المتوفى سنة ٤٦٩ وكان قد رحل إلى بغداد وأخذ عن علمائها ونحاتها وعاد فتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص في الفسطاط. وكان يُسْند إليه الإشراف على تحرير الكتاب الصادرة عن ديوان الإنشاء الفاطمي إلى الأطراف، وله في النحو كتب سارت- كما يقول القفطي- مسيّر الشمس، منها المقدمة في النحو وشرحها، وهو منشور بالكويت نشرة جيدة. ومن مصنفات ابن باشاذ شرح كتاب الجمل للزجاجي أحد أئمة النحو البغدادي، وله كتاب سماه المحتسب في النحو وشرح على كتاب الأصول لابن السراج، وكانت له تعليقة كبيرة في النحو في خمسة عشر مجلدا. وكان ينزع منزع البغداديين [٢٢٠]في الانتخاب من آراء الكوفيين والبصر بين ومحاولة الأداء بآراء

---

(٢١٧) المدارس النحوية ص ٣٣٤.

(٢١٨) إنباه الرواة ٢/ ٨.

(٢١٩) انظر ابن بابشاذ فى معجم الأدباء ١٢/ ١٧ وأبناه الرواة ٢/ ٩٥ وابن خلكان ٢/ ٥١٥ والشذرات ٣/ ٣٣٣ ومرية الجنان ٣/ ٩٨ والبغية ص ٢٤.

(٢٢٠) المدارس النحوية ص ٣٣٦.

obeikandl.com

جديدة. وخلفه على التصدر لإقراء النحو تلميذه محمد [٢٢١]بن بركات المتوفى سنة ٥٢٠ وكانت له في النحو تصانيف مختلفة كما كان إلهي التصفح في ديوان الإنشاء الفاطمي.

وأكبر نحاه مصرفي أواخر زمن الفاطميين وأوائل زمن الأيوبيين أبن برى الذي أسلفنا الحديث عنه بين اللغويين، وكان يتصدر لإقراء النحو واللغة بجامع عمرو، وطارت شهرته في الآفاق، فقصده الطلاب من كل بلد وفي مقدمتهم عيسى الجزولي نحويّ المغرب والأندلس؛ وقد ون عنه في أثناء شرحه لكتاب الجمل للزجاجي مقدمته المعروفة بالجزولية، وكان يقول إنها من نتائج خواطر ابن برى وتلاميذه، واهتم بها النحاة وشرحوها مراراً، وهو بغدادي [٢٢٢]النزعة في النحو مثل أستاذه ابن برى وغيره من نحاة المصريين لزمنه. وخلف ابن برى في إقراء النحو تلميذه سليمان بن بنين، ومر بنا بين اللغويين وله في النحو شرح سيبويه سماه "لباب الألباب في شرح الكتاب". ونزل مصر يحيى [٢٢٣]بن مُعْطى المغربى الدمشقى المتوفى سنة ٦٢٨ واستقر بها وتصدر بجامع عمرو لإقراء الطلاب النحو، وله مصنفات مختلفة في النحو منها ألفية كألفية ابن مالك وكتاب العقود والقوانين في النحو، وكتاب الفصول، وحواش على أصول ابن السراج، وشرح على الجمل. وكان يعاصره ابن الرماح على[٢٢٤]. بن عبد الصمد المتوفى سنة ٦٣٣ تصدر لإقراء النحو وله فيه مجموع يتردد ذكره في كتاب الأشباه والنظائر

---

(٢٢١) راجع محمد بن بركات فى معجم الأدباء ١٨/ ٣٩ وإنباه الرواة ٣/ ٧٨ والذارات ٤/ ٦٢ ومرية الحنان ٣/ ٢٢٥ والبغية ص ٢٤.

(٢٢٢) المدارس النحوية ص ٣٠١، ٣٣٨.

(٢٢٣) انظر ابن معطى فى معجم الأدباء ٢٠/ ٣٥ والبغية ٤١٦ والشذرات ٥/ ٢٩ وتاج التراجم ٨٣.

(٢٢٤) راجع ابن الرماح ف البغية ص٣٤١.

obeikandl.com

للسيوطى. ونلتقي بعلي [٢٢٥]. بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ وله شرحان على كتاب المفصل للزمخشري، وأسمه يتكرر في كتاب الأشباه والنظائر. وأهم النحاة المصريين حينئذ بلا منازع أبن الحاجب[٢٢٦]. عثمان بن عمر المتوفى سنة ٦٤٦ كان أبوه حاجباً لبعض الأمراء فغلبت عليه النسبة إلى وظيفته. وله كتب كثيرة في الفقه المالكي والأصول والعروض وله في النحو كتاب المالي، وكتاباه الكافية في النحو والشافية في الصرف طارت شهرتهما في العالم الإسلامي، وتعلق العلماء بدرسهما للطلاب في كل مكان، وكثرت عليهما الحواشي والشروح كثرة مفرطة، ومن أهم شروحهما شرح الرضى الإسترابادي. وينزع ابن الحاجب في كتاباته النحوية منزع المدرسة البغدادية. [٢٢٧]. فهو ينتخب من آراء المدرستين البصرية والكوفية ويضيف أيهما آراء اجتهادية تدل على حسن بصره وبالغ دقته وحدة ذكائه.

وتزدهر الدراسات النحوية في زمن المماليك، ونلتقي في أوائله بأمين الدين المحلى[٢٢٨]. محمد بن على المتوفى سنة ٦٧٣ تصدر لإقراء النحو وانتفع به الناس، وله تصانيف مختلفة في النحو والعروض. وكان يعاصره بهاء الدين[٢٢٩]. بن النحاس الحلبي

---

(٢٢٥) أنظر العلم السخاوى فى معجم الادباء ١٥/ ٦٥ وبان خلكان ٣/ ٣٤٠ وإنباه الرواة ٢/ ٣١١ والبغية ص٤٩ وطبقات القراء ١/ ٥٦٨ والسبكى ٨/ ٢٩٧ وحسن المحاضرة ١/ ٤١٢.

(٢٢٦) راجع ترجمة ابن الحاجب فى ابن خلكان ٣/ ٢٤٨ وطبقات القراء ١/ ٥٠٨ وطبقات الذهبى ٢/ ٢٠١ والديباج لابن فرحون ص ٣٧٢ والشذرات ٥/ ٢٣٤ والبغية ص٣٢٣ وبر وكلمان ٥/ ٣٠٨.

(٢٢٧) المدارس النحوية ص ٣٤٣ وما بعدها.

(٢٢٨) حسن المحاضرة ١/ ٥٣٣.

(٢٢٩) بغية الوعاة ص٦.

obeikandl.com

الأصلي المتوفى سنة ٦٩٨،نزل مصر وأخذ عن شيوخها ولم يلبث أن تصدر لإقرار العربية، وعليه تتلمذ أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ حين نزوله مصر سنة ٦٧٩ وله مصنفات مختلفة، من أهمها شرح على المقرب لابن عصفور.وأبو حيان[٢٣٠]. هم أهم تلاميذه، فقد لزمه وأخذ كتبه، وتصدر لتدريس النحو في جامع الحاكم بالقاهرة وله شروح كثيرة على أمهات الكتب النحوية مثل الكتاب لسيبويه والمقرب والممتع لابن عصفور والتسهيل لابن مالك وأيضاً له شرح على ألفيته، وبجانب ذلك له مصنفات نحوية مستقلة أهمها ارتشاف الضرب أي عسل النحو، ويغلب عليه متابعة البصريين[٢٣١]. ويتصدى كثيراً في مؤلفاته لابن مالك وآرائه. وقد تخرج به جيل من النحاة المصريين لزمنه. ومن أهم تلاميذه ابن أم قاسم[٢٣٢]. الحسن بن قاسم المتوفى سنة ٧٤٩ وأم قاسم جدته لأبيه نسب إليها. وله شروح على مفصل الزمخشري وتسهيل ابن مالك وألفيته. وخرجت مصر حينئذ أكبر نحاتها ابن هشام [٢٣٣]. جمال الدين عبد الله بن يوسف المتوفى سنة ٧٦١ وقد طارت شهرته في العربية وقصده الطلاب من كل فج، وبلغ من إعجاب معاصريه به أن قالوا إنه أنحى من سيبويه، وله مصنفات نحوية كثيرة

---

(٢٣٠) انظر أباحيان فى الدرر الكامنة لابن حجر ٤/ ٣٠٢ والبغية ص١٢٦ ونكت الهميان ص ٢٨٠ وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٢٧٦ وطبقات القراء ٢/ ٢٨٥ وفوات الوفيات ٢/ ٥٥٥ والشذرات / ١٤٥ ونفح الطيب (طبعة دوزى) ١/ ٨٢٣.

(٢٣١) المدارس النحوية ص ٢١ وما بعدها.

(٢٣٢) البغية ص٢٢٦.

(٢٣٣) انظر ابن هشام فى الدرر الكامنة ٧/ ٣٠٨ والشذرات ٦/ ١٩١ والبغية ص٢٩٣ والبدر الطالع ١/ ٤٠١ وكتابنا "المدارس النحوية" ص ٣٤٦.

obeikandi.com

من أهمها "مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب" وهو ف جزءين: جزء خاص بالحروف والأدوات وجزء خاص بالجمل، بث فيه كثيراً ن القواعد الكلية والملاحظات الدقيقة. وله كتاب "أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك" وكتاب "شذور الذهب" وكتاب "قطر الندى "وكل هذه الكتب مطبوعة مراراً وتكراراً. وهو ينهج في النحو منهج المدرسة البغدادية. وكان يعاصره أبن[٢٣٤]. عقيل عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٧٦٩ ومن أهم مصنفاته شرحه على الألفية. وهو مشهور. ونلتقي في القرن التاسع الهجري بالدماميني [٢٣٥]. الإسكندري المتوفى بالهند سنة ٨٣٧ تصدر لإقراء النحو بالإسكندرية ثم بالجامع الأزهر، وله حاشية على المغني لابن هشام. وفيها يتحامل عليه تحاملاً شديداً محمد جعل الشُّمُنِّي الإسكندرية المتوفى سنة ٨٧٢ يتعقبه في حاشية له على المغني، والحاشيتان مطبوعتان معاً. ونلتقي بعدهما[٢٣٦]. بالكافِيَجِّي محمد بن سليمان الرومي المتوفى سنة ٨٧٩ وله مختصرات نحوية مختلفة. ومن أهم النحاة حينئذ الشيخ خالد [٢٣٧]. الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥ تصدر لإقراء الطلاب في الأزهر فنسب إليه، وله مصنفات نحوية متعددة أهمها شرحه: "التصريح على التوضيح" لابن هشام. وكان يعاصره السيوطي وكان نحوياً كبيراً كما كان لغوياً كبيراً، وله في كليات النحو

---

(٢٣٤) راجع ابن عقيل ى الدر الكامنة ٢/ ٣٧٢ والبغية ص ٢٨٤ والشذرات ٦/ ٢٠٤ والبدر الطالع ١/ ٣٨٦ وكتابنا "المدارس النحوية" ص ٣٥٥.

(٢٣٥) انظر الدمامنيى ى الضوء اللامع جـ رقم ٤٤٥ والشذرات والبغية ص ٢٧ والبدر الطالع ٢/ ١٥٠.

(٢٣٦) أنظر الكافيجى فى الضوء اللامع جـ ٧ رقم ٦٥٥ والبغية ص ٤٨ وشذرات الذهب ٧/ ٣٢٦.

(٢٣٧) راجع الشيخ خالد فى الضوء اللامع جـ ٢ رقم ٦٦١ وشذرات الذهب ٨/ ٢٦ والكواكب السائرة ١/ ١٨٨ والخطط الجديدن لعلى مبارك ١٠/ ٥٣.

obeikandi.com

كتاب "الأشباه والنظائر" في أربعة مجلدات. وفيه طبق على قواعد النحو الكلية منهج الفقهاء في كتاباتهم عن الأشباه والنظائر في الفقه، وهو كتاب نفيس، وقد طبع بحيدر آباد. وله كتاب الاقتراح وهو مختصر لطيف في أصول النحو ألفه على هدى كتاب الخصائص لابن جني كما يقول في مقدمته. وله في النحو التصريف كتاب همع الهوامع في مجلدين ضخمين ضم فيه خلافات النحاة وآراءهم. وهو دائرة معارف نحوية وصرفيه بديعة.

ويلقانا في أوائل زمن العثمانيين الأشموني [٢٣٨]. على بن محمد المتوفى سنة ٩٢٩ للهجرة ومن أهم مصنفاته النحوية شرحه على ألفية بن مالك. وهو يعرض فيه بدقة آراء النحاة المختلفين، وهو مثل شرح ابن عقيل على الألفية من أشهر كتب النحو المتداولة. ويستمر نشاط علماء النحو طوال أيام العثمانيين. ومن أشهرهم في القرن الحادي عشر الشنواني المتوفى سنة ١٠١٩ والدنوشري المتوفى سنة ١٠٢٥، وينزل القاهرة عبد القادر [٢٣٩]. البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣ ومن مؤلفاته: "خزانة الأدب" وهى شرح لشواهد شرح الكافية في أربعة مجلدات، وعادة يذكر مع الشواهد شعراءها ويترجم لهم، وبذلك أحال خزانته إلى دائرة معارف لشعراء العربية في الجاهلية وصدر الإسلام، ونمضي إلى القرن الثاني عشر فيلقانا الحفني المتوفى سنة ١١٨١ ومحمد الأمير المتوفى سنة ١١٨ وله حاشية على المغنى. وهى مطبوعة. ولا نلب أن نلتقي بالشيخ

---

(٢٣٨) أنظر الأشمونى فى الضوء اللامع ٦/ ٥ وشذرات الذهب ٨/ ١٦٥ والبدر الطالع ١/ ٤٩١ وفيه أنه توفى سنة ٩١٨.

(٢٣٩) أنظر فى عبد القادر البغدادى خلاصة الأثر ٢/ ٤٥١ ودائرة المعارف الإسلامية وما بها من مراجع.

obeikandi.com

حسن الكفراوي [٢٤٠]. المتوفى سنة ١٢٠٢ صاحب شرح الأجرومية المشهور. ونلتقي بالصبان [٢٤١]. محمد بن على المتوفى سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م صاحب حاشية المشهورة على شرح الأشمونى، وهى أشبه بدائرة معارف نحوية. وترمز بقوة إلى استمرار النشاط النحوي بمصر حتى نهاية أيام العثمانيين.

وإذا تركنا علمي النحو واللغة إلى علوم البلاغة والنقد. رأينا مصر تأخر في أفراد العلوم البلاغية بمصنفات خاصة بها. وأول كتاب بحده يعنى بمباحثات البلاغة كتاب لابن وكيع التنيسي المتوفى سنة ٣٩٣ سماه المصنف[٢٤٢]. في بيان سرقات المتنبي. وهو بذلك أدخل في مباحث النقد. غير أنه جعل بين يديه مبحثين: مبحثا في السرقات الشرعية عامة، ومبحثاً في فنون البديع، وهو فيه يذكر أولاً مصطلحاته التي دونها ابن المعتز في كتاب البديع ثم يذكر ما أضافه قدامة في نقد الشعر، ويستمد من كتاب ثالث لا يسمى صاحبه، وربما كان كتاب حلية المحاضرة للحاتمي. والكتب الثلاثة فعلاً أهم كتب ألفت في البديع قبله. وكأن مصر إن كانت قد تأخرت في وضع المباحث البلاغية فإنها لم تقصر في الإطلاع على ما وضعت العراق منها حتى زمن ابن وكيع، وظلت تعنى بعده بالإطلاع على مباحث العرقيين وغير العراقيين حتى نهاية زمن الفاطميين، تدل على ذلك كتابات على بن منجب الصرفي المتوفى سنة ٥٤٢ وإذ نراه في كتابه: قانون

---

(٢٤٠) تاري الجبرتى ٢/ ١٦٥.

(٢٤١) تاريخ الجبرتى ٢/ ٢٢٧ والخطط التوفيقية ٣/ ٣٠٦.

(٢٤٢) أنظر فى هذا الكتاب تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس ص ٢٩٤. وقد نشره بدمشق الدكتور محمد رضوان الداية.

obeikandl.com

ديوان الرسائل يتحدث عن البلاغة حديثاً سريعاً وعرض في بعض رسائله لفني الجناس والتورية من فنون البديع.

ولعل أول كتاب بلاغي ألف في مصر بالمعني الدقيق لهذه الكلمة كتاب غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لعلى[٢٤٣]. بن ظافر الأزدي المصري المتوفى سنة٦٢٣. وسبقته في نفس الموضوع كتب أخرى من أهمها كتاب التشبيهات لابن أبى عون وقد عرضنا له في الجزء السابق من هذه السلسلة، وقد توفي سنة ٣٢٣. ويذكر ابن ظافر في مقدمة كتابه أنه قدمه للملك الأفضل على بن صلاح الدين سنة ٥٨٧ في حياة أبيه، وهو منشور بالقاهرة وجعله ابن ظافر في ستة أبواب: أولها في تشبيه الأجرام العلوية والثاني في تشبيه المياه والأنهار والثالث في تشبيه الأنوار والأثمار والنبات والرابع في التشبيه الواقع في الخمريات والخامس في التشبيه الواقع في الغزل والسادس في تشبيهات مختلفة. والكتاب يجمع طرف التشبيه في هذه الموضوعات المتنوعة، وخاصة تلك التي دارت على ألسنة المحدثين من شعراء مصر والشام والعراق والمغرب والأندلس، واستعان في ذلك بكتب الأدب العامة مثل اليتيمة للثعالبي الخريدة للعماد الأصبهاني. ونعجب إذ نرى شعراء العالم العربي معروضين في الكتاب مع فرائدهم في التشبيه، غير أن العجب يزول إذا عرفنا أكدناه مراراً من أن العالم العربي كانت تسوده وحدة جعلت آثاره الأدبية والعلمية وكأنها آثار كل بلد من بلدانه، مما جعل دواوين الشعراء تتداول في أوسع نطاق، بحيث لم يكن يظهر شاعر في بلدة وينال شيأً من الشهرة حتى تتناقل ديوانه وأشعاره البلدان العربية المختلفة. ويلقانا بعد أبن ظافر عبد

(٢٤٣) أنظر على بن ظافر فى معجم الأدباء ١٣/ ٢٦٤.

obeikandi.com

الرحيم[٢٤٤]. بن شيث المتوفى سنة ٦٢٥ ونراه في كتابه "معالم الكتابة ومغانم الإصابة" يعقد فصلاً للبلاغة يعرض فيه للإيجاز والمساواة واختيار الألفاظ والسجع وبعض فنون البديع. ويتلوه العز بن عبد السلام الإمام الشافعي المشهور نزيل القاهرة سنة ٦٤٠ وقد ظل فيها علماً كبيراً في الفقه الشافعي وغيره، وله كتاب منشور سماه الإشارة إلى إيجاز في بعض أنواع المجاز، وهو بذلك كتاب في علم البيان، وقد قصره على إحصاء دقيق لأمثلة المجاز في الذكر الحكيم، عنى فيه بالأمثلة أكثر مما عنى بالقواعد وتفاريعها الكثيرة المعروفة في علم البيان.

وأهم من العز بن عبد السلام في ميدان التأليف بمصر في البلاغة وفنون البديع معاصران له هما أحمد بن يوسف التيفاشي المغربي الجزائري نزيل مصر المتوفى سنة ٦٥١ وابن أبى الإصبع المصري المتوفى سنة ٦٥٤. أما التيفاشي فذكرنا عنه في غير هذا الموضع أنه نزل مصر في باكورة شبابه وأنها تعهدته حتى أصبح عالماً لا يشق غباره في التاريخ الطبيعي والجيولوجيا وكان أديباً وعنى بالتأليف في البديع وألف فيه كتاباً أحصى فيه سبعين محسناً من المحسنات البديعية، وسقط الكتاب من أيدي الزمن. أما أبن أبى الإصبع فيعد أكبر بلاغي ظفرت به مصر في القرن السابع الهجري، وله كتابان: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، وكتاب بديع القرآن. والكتابان جميعاً في دراسة البديع وألوانه في الشعر والنثر وأي القرآن الكريم، وواضح من عنوان ثانيهما أنه خاص ببديع الذكر الحكيم، والكتابان منشوران بالقاهرة. ويذكر

---

(٢٤٤) أنظر ترجمة ابن شيث فى فوات الوفيات ١/ ٥٦٠ وشذرات الذهب ٥/ ١١٧ والطالع السعيد للإدفوى ١٦٠ وكتابه: "معالم الكتابة" طبع بيروت سنة ١٩١٣.

obeikandl.com

ابن أبى الإصبع في تقديمه للكتابين مصادره ومنها نتبين أنه لم يكد يترك كتاباً ألف في البلاغة وفنون البديع وإعجاز القرآن الكريم إلا رجع إليه، من ذلك نظم القرآن للجاحظ وبديع ابن المعتز ونقد الشعر لقدامة وحلية المحاضرة للحاتمي والمنصف لابن وكيع المصري والصناعتين لأبى هلال العسكري والنكت في إعجاز القرآن للباقلاني والمجاز للشريف الرضى والموازنة للآمدي والوساطة لعلى بن عبد العزيز الجرجاني والعمدة لابن رشي وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني والكشاف للزمخشري ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي والمثل السائر لأبن الأثير وبديع شرف الدين التيفاشي إلى غير ذلك من مصنفات كثيرة. وإنما ذكرنا الأمهات لندل على أن كتب البلاغة والبديع كانت تدرس في مصر، وكان المصريون يعكفون على قراءتها فهما وفقها ودراسة واستنباطاً. ويعرض ابن أبى الإصبع في كتابه تحرير التحبير الألوان البديعية التي اختص بها ابن المعتز، ثم يعرض الألوان العشرة التي انفرد بها قدامة وقد بلغت جميعاً ثلاثين لوناً، ويسمى هذه الألوان الأصول، حتى إذا انتهى من عرضها اتبعها بالفروع التي ذكرها المؤلفون حتى زمنه وقد بلغت ستين محسناً، ويتلوها بثلاثة محسنات نقلها عن بديع الإجدابي، وبذلك تبلغ الألوان البديعية ثلاثة وتسعين لوناً، ويتلوها بثلاثين لوناً من عمله واكتشافه، سلم له البلاغيون منها نحو عشرين محسناً،وقالوا إن الباقي إما مسبوق إليه أو مدخول عليه[٢٤٥]. وصنف بعد هذا الكتاب كتابه الثاني "بديع القرآن" ذكر فيه أولاً- كما قلنا آنفاً – أصول المحسنات البديعية عند ابن المعتز وقدامة، ثم مضى في ذكر المحسنات الصور

(٢٤٥) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار (طبع دمشق) ص٣.

البيانية وطائفة من أبواب علم المعاني كالتكرار والتفصيل والإيضاح والبسط أو إطناب والإيجاز وبذلك وسع مدلول المحسنات البديعة وظل ذلك عند أصحاب البديع من بعده.

وتشغل مصر طويلاً بكتابي أبن أبى الإصبع، حتى إذا كنا في منتصف القرن الثامن الهجري وجدناهم تسهم في العناية بمباحث المشارقة في البلاغة وعلومها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وكان لخطيب القزويني قد لخص القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي، وهو القسم الخاص بعلوم البلاغة، وأحسن في هذا التلخيص إلى حد بعيد. مما جعل الشراح يعنون بتفسيره والتعليق عليه، ويعنى بذلك شارح مصري هو أحمد[٢٤٦]. بن على بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ ويسمى شرحه "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح" ونراه في فواتحه يشيد بالمصريين وما طبعوا عليه من الذوق السليم الذي أغناهم عن التعمق في مباحث السكاكي البلاغية وشراحه الإيرانيين لاهتمامهم جميعاً العلوم العقلية والفلسفية، ويصور عمله في شرحه قائلاً: "أعلم أنى مزجت قواعد هذا العلم (علم البلاغة) بقواعد الأصول والعربية.. ومنته شيئاً من القواعد المنطقية والمعاقد الكلامية والحكمة الرياضية أو الطبيعية". وكأنما أعدته في شرحه طريقة المشرقيين أو المشارقة، فعاد يصل في شرحه بين البلاغة وعلوم المنطق والكلام والفلسفة الطبيعية والرياضية، مما أصاب البلاغة ومباحثها بالجفاف في مصر كغيرها من بلدان المشرق. وكانت قد أخذت تظهر بديعيات مختلفة وهى مدائح

---

(٢٤٦) أنظر فى ترجمة السبكى ترجمة أبيه فى طبقات الشافعية ١٠/ ١٣٩ وراجعه ف الدرر الكامنة ١/ ٢١٠ وشذرات الذهب ٣/ ٢٢٦ والنجوم الزاهرة ١١/ ١٢١ وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ١/ ٢١.

obeikandi.com

نبوية تشتمل المدحة منها على محسنات البديع، بحيث يضم كل بيت محسناً من تلك المحسنات. وصنعت لتلك البديعيات شروح تفسرها وتعرض أمثلتها. ولم تسارع مصر إلى المشاركة في هذه البديعيات التي أخذت تظهر منذ القرن السابع الهجري، حتى إذا كنا بأخرة من زمن المماليك ووجدنا السيوطي ينظم بديعية يسميها "نظم البديع في مدح خير شفيع" وله عليها شح.وتليها بديعية لعائشة الباعونية المتوفاة سنة ٩٣٠. وتعتني مصر زمن العثمانيين بتلخيص الخطيب القزويني وشروحه وخاصة شرح السبكي والسعد التفتازاني.

وإذا كانت المباحث البلاغية تأخرت في مصر لهذا العصر فإن المباحث النقدية شاركتها في هذا التأخر، ويلقانا في أوائل العصر- كما مر بنا آنفاً- كتاب المنصف لابن وكيع في بيان سرقات المتنبي ومشكل شعره، وقد ذكرنا أنه احتوى على مقدمة في فنون البديع، وذهب بلاشير إلى أنه ألفه انتصاراً لابن حنزابة وزير كافور إذ ترفع المتنبي عن مدحه فأغرى أبن وكيع بنقده[٢٤٧]. وهو يذكر في تقديمه لكتابة أن جماعة بالغوا في مديح المتنبي حتى فضلوه على جميع الشعراء بنتائج فكره وبدائع معانيه، فأراد أن يكشف عن مدى تقليده ومحاكاته لمن تقدموه، ويقدم لكلامه بمبحث عن السرقات يصنفها فيه عشرين صنفاً. وتحدث حديثاً مجملاً – عرضنا له- عن فنون البديع، ثم أخذ يفيض في سرقات المتنبي متعقباً لها في قصائده مع ترتيبها ترتيباً تاريخياً. وهو بحث قيم بالقياس إلى غيره من بحوث معاصريه ومن جاء بعدهم ممن عنوا ببيان سرقات المتنبي، إذ يدل على كثرة محفوظة وفطنته ودقته في الفهم. وقديما قلنا إن نقادنا القدماء كان ينبغي ألا

(٢٤٧) أنظر أو الطيب المتنبي لبلاشير ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلانى (طبع دمشق) ص٤٨٧.

يتوسعوا في بحث سرقات الشعر هذا التوسع كما كان ينبغي أن ينحوا عنه كلمة السرقة ويسموه التحوير الفني، ويحالوا أن يتبينوا مدى قدرة الشاعر على هذا التحوير. ونعجب أن يحاول أن وكيع بيان الإسفاف عند المتنبي وضعفه اللغوي لبيت وقع عليه عفواً هنا أو هناك، والشاعر لا يقاس ببعض عثرات له ندت عنه، وإنما يقاس بروائع أبياته وفرائدها البديعة. وهذا وأشباهه عند ابن وكيع جعل أبن جنى يؤلف كتاباً في النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته[٢٤٨]. كما جعل ابن رشيق يقول عنه: "ما أبعد الإنصاف منه"[٢٤٩]. وربما جرا ابن وكيع إلى ذلك كله أنه كان شاعراً من ذوق غير ذوق المتنبي فأسرف في التحامل عليه. ولم يؤد كتاب المنصف غايته من الهبوط في مصر بمنزلة المتنبي فقد مضى كثيرون يبالغون في تشيعهم له، مما جعل العميدي [٢٥٠]. محمد بن أحمد كاتب الإنشاء في دواوين الفاطميين المتوفى سنة ٤٣٣ يكبت بحثاً ثانياً في سرقاته باسم "الإبانة عن سرقات المتنبي" وهو يطيل في عرض هذه السرقات-كما تتراءى له – مع كثير من الغمز واللمز والتجريح للشاعر الكبير، ويعرض – كما عرض ابن وكيع – لبعض عيوبه اللغوية.

وما تزال مصر معنية بالبحث في السرقات ويقف عندها مراراً ابن منجب الصيرفي في رسائله، وما تزال معنية بالمتنبي. بل إنها لتمد عنايتها إلى جميع شعراء العالم العربي.

---

(٢٤٨) معجم الأدباء ١٢/ ١١٣.

(٢٤٩) العمدة لابن رشيق ٢/ ٢١٦.

(٢٥٠) أنظر العميدى فى معجم الأدباء ١٧/ ٢١٢ وإنباه الرواة ٣/ ٢٤٦ وبغية الوعاة للسيوطى ١٩.

obeikandl.com

ونرى أضواء من ذلك كثيرة في كتاب فصوص الفصول[٢٥١]. لابـن سـناء الملـك شـاعر صلاح الدين، إذ نراه يجمع فيه بعض الرسائل المتبادلة بينه وبين القاضي الفاضل، وفيها يعرضان كثيراً لشعراء العالم العربي. ومن طريف ما ذكره ابن سناء الملك فيها أنـه سـأل القاضي الفاضل لماذا يدور شعر المتنبي على كل لسان، فقال لأنه يشتمل عـلى مـا يـدور بخواطر الناس من أفكار، يقصد حكمه البديعة. وسأله القـاضي الفاضـل أن ينتخـب مختارات من شعر ابن الرومي فاعتذر عن ذلك بأنه "ليس من أهـل اختيـاره. ولا مـن الغواصين الذين يـستخرجون الـدر مـن بحـاره، لأن بحـاره زخَّـارة، وأسـوده زآرة، ومعدن تبره مردوم بالحجارة، وعلى كل عقيلـة ألـف نقـاب بـل ألـف سـتارة، يطمـع ويوئس، ويوحش ويؤنس، وينير ويظلم، ويصبح ويعتم، شذرة وبدرة، ودرة وآجـره، قبل بجانبها لسعة"، وابن سناء الملك بذلك عبر في وضـوح عـن مـدى التفـاوت بـين أشعار ابن الرومي، وهو نقد دقيق، وسأله القاضي الفاضل مرة أخـرى صـنع منتخـب لشعر ابن رشيق، فصنعه، وذكر له في إحدى رسائله ذلك كما ذكر له أن شعره مـسروق من شعر ابن المعتز والمتنبي، يقول: "ولو لم يخلق الله ابن المعتز والمتنبي لما كان ابن رشيق يعرف الشعر فضلاً عن أن ينظمه أو يعلمه، وهـو ينهـب أشـعار هـذين الـرجلين نهبـا قبيحاً ولا سيما أبـن المعتـز". وينـوه ابـن سـناء الملـك مـراراً في الرسـائل بـابن المعتـز والبختري. وقد حملت فيما حملت نظرات نقدية للقاضي الفاضل أحياناً في بعض أبيـات

(٢٥١) منه مخطوطة بدار الكتب المصرية..

obeikandi.com

لابن سناء الملك، وأورد القلقشندي في صحبه نموذجا[٢٥٢]. من هذه الرسائل المتبادلة بين الأديبين الكبيرين، إذ أورد رسالة نقد فيها القاضي الفاضل بيت ابن سناء الملك

صليني وهذا الحسن باق بما يعزل بيت الحسن منه يكنس

لذكره فيه كلمة "يكنس" المبتذلة، ورد عليه أبن سناء الملك بأنه إنما تابع في ذلك ابن المعتز في قوله:

وقوامي مثل القناة من الخط وخدي من لحيتي مكنوس

وكأنه يريد أن يقول للفاضل إن الكلمة استعملها ابن المعتز من قبله وأصبحت بذلك كلمة شعرية ولا بأس على شاعر من استعمالها.

وابن سناء الملك أكبر رمز مصري في العصر لاتصال شعراء مصر ونقادها بالأدب الأندلسي، فقد درس موشحات الأندلسيين، ولم يكونوا قد وضعوا عروضها فوضعه لها، وكأنه يحل من عروض الموشحات الأندلسية محل الخليل بن أحمد من عروض الشعر العربي، وستحدث بشيء من التفصيل عن ذلك في الفصل التالي.

وقد شغل ابن سناء الملك النقاد في زمنه وبعد زمنه. لا بما وضعه من عروض الموشحات فحسب، بل أيضاً بشعره، فقد كان أنبه شاعر أنجبته مصر حتى أيامه، فشغل النقاد طويلاً بأشعاره، وفيه وضع ابن جبارة[٢٥٣]. على بن إسماعيل مواطنه المتوفى سنة ٦٣٢ كتابة "نظم الدر في نقد الشعر" وهو في نقد أشعار ابن سناء الملك، والكتاب

---

(٢٥٢) أنظر صبح الأعنى ٢/ ٢٤٩-٢٥٢

(٢٥٣) أنظر فى ابن جبارة نكت الهميان ص ٢٠٨ وبغية الوعاة ص ٣٢٩.

obeikandl.com

مفقود، غير أن الصفدي في كتابه "الغيث المسجَّم" الذي وضعه في شرح لأمية العجم نقل عنه أطرافاً من نقده لبعض أبيات ابن سناء الملك، ونره فيها متحاملاً عليه تحاملاً شديداً أو كما قال الصفدي في نكت الهميان "متعيناً تعنتا زائداً". من ذلك قول ابن سناء الملك:

بشوك القنا يحمون شهد رضابها ولابد دون الشهد من إبر النحل

يصف في البيت منعة صاحبته وأن أحداً لا يستطيع أن يقترب من حماها لبأس قومها وخشية من رماحهم أن تسفك دمه. وتوقف ابن جبارة بإزاء البيت[٢٥٤]. وقال إنه أراد أن يمدح قوم صاحبته فهجاهم بالمثل المضمن آخر بيته الذي جعله كفن مَّيته لأنه جعل طعن رماحهم كإبر النحل، يقو ابن جبارة: وإبرة النحل لا أثر لها ولا ألم يحص منها. ويرد عليه الصفدي قائلاً: أما كونه يدعى أنه لا ألم في إبر النحل ولا ضرر في الزنابير فهذا مما لم يسمع، وهو تحامل أليس في إبر النحل والزنابير سم يمنع القرب منه والدنو إليه، وغالب الناس يهاب ذلك ولا يقدم عليه، وربما لسع الزنبور بعض الناس فتورم منه ومات. ورد عليه أيضاً ما قاله من أنه شبه طعن رماح القوم بإبر النحل فهو لم يعقد في البيت تشبيها، وإنما جاء بمثل ليدل على أن حلاوة ريق صاحبته لا تنال إلا بعد مشقة. وأنكر أبن جبارة في البيت أيضاً كلمة "بشوك القنا" وقال الصفدي رداً عليه إنها استعارة حسنة، وأنشد بيتين للأرجاني وأبن خفاجة شبها فيهما القنا بالشوك. وتوقف

(٢٥٤) الغبث المسجم شرح لامية المعجم (طبع مطبعة بولاق) ١/ ٢٢٤.

obeikandi.com

أبن جبارة بإزاء[٢٥٥]. بيت نظم أبن سناء الملك قصيدته في مديح القاضي الفاضل، إذ يقول:

يَقِري الضيوفَ شعاعَ تِبْر أحمر فشعاعُ ذاك التِّبْر نيرانُ القرى

وحاول في أول نقده أن يثبت سرقة ابن سناء الملك للبيت من بيت لابن عمار وآخر للمتنبي. وقال الصفدي: إن هذا تعنت زائد إذ ليس للبيت علاقة بما قاله الشاعران. ويسترسل أبن جبارة في نقده للبيت فيقول: قوله: "يقرى الضيوف شعاع تبر أحمر" التبر لا يكون إلا كذاك (أي أحمر) وإنما قصد المبالغة وشبه ذلك بشعاع النار التي توقد على اليفاع ليهتدي بها الحيران. وتهتدي إلى مواضعها الضيفان، وقد جعله يدفع إلى الضيوف صلة الإنعام ويمنعهم من الطعام. يقول الصفدي: وهذا تعنت لأن التبر منه ما يكون أصفر أو أخضر ومنه ما يكون أحمر وهو المضروب وإنما سماه ابن سناء الملك تبرا مجازاً، ولولا أن هذا لازم لما قيل في بعض قصائد الشاعر. وما يزال يعلق على طائفة من أبياتها بتحامل شديد.

ولا شك في أن النقد الأدبي المصري في هذا العصر خسر كثيراً بسقوط هذا الكتاب النقدي من يد الزمن. ومن المؤكد أننا لا نستطيع الحكم عليه بدقة من خلال ما نقله عنه الصفدي. وهو فعلاً لم يتوسع في نقله. ولعلنا لا نبعد إذا قلنا إن أهم كتاب ظهر بعد كتاب ابن جبارة هو كتاب خبز الشعر لابن نباتة المتوفى سنة ٧٦٨ وهو أهم شعراء مصر في زمن المماليك، وكانت قد حدثت جفوة بينه وبين تلميذه الصفدي بسبب بحث

(٢٥٥) الغيث المسجم ١/ ٢٦٤ وأنظر ١/ ١٢٨، ٢٤٣.

obeikandl.com

كتبه عن سرقاته من الشعر السابقين فألف هذا الكتاب موضحاً فيه سرقات الصفدي لأشعاره ومعارضته لبعض قصائده. وفي مقدمته[٢٥٦]. يقول: إنه ليس للصفدي من جيد الأشعار لمعة إلا ومن لفظه مشكلتها. ومضى يذكر الأصل[٢٥٧]. من أبياته أو الأصول، ثم الفرع أو الفروع من أبيات الصفدي. وفي صبح الأعشى دراسة[٢٥٨]. نقدية طريفة للمعاني والألفاظ وقبحها وما بداخلها من الغرابة والابتذال والإيجاز والإطناب، وقد امتدت عنده إلى نحو مائة وأربعين صحيفة. ونلتقي في أيام العثمانيين بشهاب الدين الخفاجي وكتابه "ريحانة الألبا" الذي ترجم فيه لشعراء زمنه في الشام والمغرب والحجاز واليمن ومصر، وقد بث فيه ملاحظات نقدية كثيرة.

٤

علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه والكلام:

أخذ المصريون يعنون بقراءات الذكر الحكيم منذ أخذ الصحابة الذين تزلوها يعلمونه لهم. وأسهم معهم في هذا الصنيع التابعون من مثل عبد[٢٥٩]. الرحمن بن هرمز تلميذ أبى الأسود الدؤلي نزيل الإسكندرية المتوفى سنة ١١٧ للهجرة.ورحل كثير من

---

(٢٥٦) الكتاب مفقود غير أن ابن حجة الحموى احتفظ فى خزانته (طبعة المطبعة الخيرية بالقاهرة) بمقدمة الكتاب ص١٥.

(٢٥٧) فى الخزانة جملة كبيرة من هذا الكتاب أنظر الصفحات ٢٨٥-٢٨٩.

(٢٥٨) أنظر صبح الأعشى ٢/ ١٩٢- ٣٣٨.

(٢٥٩) سبقتمصادر ترجمته ص١٠٨.

obeikandi.com

المصريين إلى المدينة في القرن الثاني لحمل قراءة إمامها نافع الذي طبقت شهرته في القراءات العالم الإسلامي حتى وفاته سنة ١٦٩. وأشهر تلاميذه بمصر من حملة قراءته ورش[٢٦٠]. عثمان بن سعيد المتوفى سنة ١٩٧ وكان ماهراً في العربية. وإليه انتهت رياسة الإقراء بالديار المصرية، وحمل عنه قراءته أهل المغرب كما مر بنا في غير هذا الموضع، ولا يزالون يقرءون بها إلى اليوم. ومن أهم تلاميذه المصرين عبد[٢٦١]. الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم أبو الأزهر المتوفى سنة٢٣١ ويقول السيوطي: وعنه انتشرت قراءة ورش في الأندلس فقد حملها إليه تلاميذه. ويبدو أن مصر مضت طوال القرن الثالث الهجري تعنى بالقراءات وحملها عن كبار القراء. كما تعنى بما يؤلف فيها من مصنفات، يدل على ذلك أقوى الدلالة أنه بمجرد أن صنف أبو بكر بن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ كتابه السبعة في القراءات الذي جمع فيه قراءات نافع إمام أهل المدينة وابن كثير إمام أهل مكة وأبى عمرو بن العلاء إمام أهل البصرة وعاصم وحمزة والكسائي أئمة أهل الكوفة وابن عامر إمام أهل الشام نجد عالماً مصرياً معاصراً له من علماء القراءات هو أبو غانم المتوفى سنة ٣٣٣ يؤلف كتاباً في اختلاف السبعة[٢٦٢]. المذكورين، وقد أحصى السيوطي ١٣٥ قارئاً ممن تصدروا للقراءات بمصر حتى زمنه. ولا ريب في أنه كان وراءهم كثيرون لم يبلغوا مبلغهم في الشهرة، ولن نستطيع أن نقف عندهم جميعاً إنما نكتفي منهم بمن تركوا في القراءات مصنفات طارت شهرتها في العالم الإسلامي.

---

(٢٦٠) أنظر فى ورش . حسن المحاضرة ١/ ٤٨٥ وطبقات القراء ١/ ٥٠٢.

(٢٦١) أنظر فى عبد الصمد حسن المحاضرة ١/ ٤٨٦ وطبقات القراء ١/ ٣٨٩.

(٢٦٢) حسن المحاضرة ١/ ٤٨ وأنظر طبقات القراء ٢/ ٣٠١ حيث يذكر تلمذته لأحد تلاميذ ابن مجاهد.

obeikandi.com

وأول من نقف عنده عبد[٢٦٣]. المنعم بن غلبون المتوفى سنة ٣٨٩ صاحب كتاب الإرشاد ثم أبنه طاهر[٢٦٤]. المتوفى سنة ٣٩٩ صاحب كتاب التذكرة في القراءات الثمان، وعليه تخرج أبو عمرو الداني أكبر قراء الأندلس في زمنه صاحب كتاب التيسير وغيره كما تخرج عليه وعلى أبيه مكي بن أبى طالب القيرواني نزيل قرطبة صاحب كتاب التبصرة وغيره. ونمضى في القرن الخامس فنلتقي بعيد[٢٦٥]. الجبار الطرسوسي المتوفى سنة ٤٢٠ صاحب كتاب الروضة، ونلتقي بالحسن[٢٦٦]. بن محمد البغدادي المالكي نزيل مصر المتوفى سنة ٤٣٨ صاحب كتاب الروضة، ونلتقي بإسماعيل[٢٦٧]. بن خلف المتوفى سنة ٤٥٥ وكتابه "العنوان". ونلتقي بعده بموسى بن الحسين المعروف باسم المعدل المصري وكتابه الروضة في اختلاف الأئمة القراء الخمسة عشر[٢٦٨]. ونلتقي في القرن السادس بابن الفحام[٢٦٩]. شيخ الإسكندرية المتوفى سنة ٥١٠ وكتابه التجريد، كما نلتقي بابن [٢٧٠]. بليمة القيرواني نزيل الإسكندرية المتوفى سنة ٥١٤ وكتابه تلخيص العبارات.

---

(٢٦٣) راجع فى عبد المنعم بن غلبون حسن المحاضرة ١/ ٤٩٠ وطبقات القراء ١/ ٤٧٠ والنشر فى القراءات العشر ١/ ٧٩.

(٢٦٤) أنظر فى طاهر حسن المحاضرة ١/ ٤٩١ وطبقات ١/ ٣٥٦ والنشر فى القراءات العشر ١/ ٧٣،

(٢٦٥) أنظر فى الطرسوسى حسن المحاضرة ١/ ٤٩٢ وطبقات القراء ١/ ٣٥٧ والنشر ١/ ٧١.

(٢٦٦) راجع فى الحسن بن محمد حسن المحاضرة ١/ ٤٩٣ وطبقات القراء ١/ ١٣٠ والنشر ١/ ٧٤.

(٢٦٧) أنظر فى ابن خلف حسن المحاضرة ١/ ٤٩٤ وطبقات القراء ١/ ١٦٤ والنشر ١/ ٦٤.

(٢٦٨) أنظر فى المعدل المصري طبقات القراء ٢/ ٣١٨ والنشر فى القراءات العشر ١/ ٦٦.

(٢٦٩) راجع فى ابن الفحام حسن المحاضرة ١/ ٤٩٥ وطبقات القراء ١/ ٣٧٤ والنشر ١/ ٧٥.

(٢٧٠) أنظر فى أبن بليمة حسن المحاضرة ١/ ٤٩٤ وطبقات القراء ١/ ٢١١ والنشر ١/ ٧٢.

obeikandi.com

ويلقانا أيام الأيوبيين علم كبير من أعلام القراءات هو الإمام الشاطبي [٢٧١]. الضرير المتوفى بالإسكندرية ٥٩٠ وقصيدته "جزء الأماني" المعروفة باسم الشاطبية نسبة إليه، وقد عنى بشرحها كثيرون من أئمة القراء وفي مقدمتهم تلميذه العلم[٢٧٢]. السخاوي المتوفى – كما مر بنا – سنة ٦٤٣ وله في القراءات كتاب جمال القراء وكمال الإقراء. وكان يعاصره عبد الرحمن [٢٧٣]. بن إسماعيل الصفراوي الإسكندري المتوفى سنة ٦٣٦ صاحب كتاب الإعلان. ويتوالى التأليف في القراءات ونلتقي بابن الجندي المتوفى سنة ٧٦٠ وكتابه البستان، وبشرح للسيوطى على الشاطبية. ويختم الإمام شهاب[٢٧٤]. الدين القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ زمن المماليك بكتابه الرائع: "لطائف الإشارات لفنون القراءات" وفيه يجمع طرق القراءات الأربع عشرة، بإضافة قراءات أبنى جعفر يزيد بن القعقاع المدني ويعقوب بن إسحق البصري وخلف بن هشام الكوفي المكلمين للعشرية، وإضافة قراءات ابن محيصن المكي واليزيدي البصري والحسن البصري والأعمش الكوفي إلى ما ذكرناه آنفاً من قراءات السبعة الذين صنف فيهم أبن مجاهد كتابه. ويظل التأليف في القراءات لزمن العثمانيين ناشطاً ومن أهم ما ألف في زمنهم كتاب إتحاف البشر وهو يعنى بعرض القراءات الأربع عشرة ألفه البناء أحمد بن محمد الدمياطي المتوفى سنة ١١١٧.

---

(٢٧١) راجع فى الشاطبي حسن المحاضرة ١/ ٤٩٦ وطبقات القراء ٢/ ٢٠ وطبقات الشافعية ٧/ ٢٧٠ ونكت الهميان ص ٢٢٨ ومعجم الأدباء ١٦/ ٢٩٤ والنشر ١/ ٦١.

(٢٧٢) راجع مصادر ترجمته فى ص١١٨.

(٢٧٣) أنظر فى الصفراوى حسن الحاضرة ١/ ٤٥٦ وشذرات الذهب ٥/ ١٨.

(٢٧٤) راجع فى القسطلانى الضوء اللامع جـ ٢ رقم ٣١٣ والشذرات ٨/ ١٢١ والبدر الطالع ١/ ١٠٢

obeikandl.com

ومعروف أنه تكونت علوم كيرة حول القرآن الكريم، ونجد مصر تشاطر فيها مشاطرة واضحة منذ القرن الثالث الهجري، ولا يلبث أبو جعفر النحاس الذي مر ذكره أن يؤلف في جوانب منها، فقد ألف كتاباً في الناسخ والمنسوخ وكتاباً في الوقف والابتداء وألف كتاباً في الوقف والابتداء وألف كتاباً– كما مر بنا– في إعراب القرآن وهو أحد الأصول المهمة في هذا الموضوع. وظلت مصر تعنى بعلوم القرآن من بعده وتصنف فيها مصنفات مختلفة تتصل بتجويده وبناسخه ومنسوخة ولغاته وغريبة وأسباب نزوله وما فيه من الوقف والابتداء والصور البلاغية إلى غير ذلك من علومه المتنوعة. ويطول الحديث لو أنا تتبعنا ما كتبته مصر بهذا العصر من تلك العلوم، ولكن نكتفي بالإشارة إلى كتابين هما البرهان في علوم القرآن لبدر[٢٧٥]. الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ والإتقان في علوم القرآن للسيوطى، وهما يعرضان مادة هذه العلوم وما ألف فيها حتى نهاية القرن التاسع إذ توفي السيوطي كما مر بنا سنة ٩١١.

ومن أهم هذه العلوم على التفسير، وطبيعي أن تعنى به مصر منذ دخلت في الإسلام حتى تفهم أي الذكر الحكيم، وكان حفاظها يروون خلفاً عن سلف ما قيل في معاني أي الذكر الحكيم، واشتهر بها في القرن الثاني طريق وثيق عن ابن عباس المشهور بتفسير القرآن الكريم، هو طريق على بن أبى طلحة الهاشمي وفيه يقول أحمد بن حنبل: (إن بمصر صحيفة في التفسير رواها على بن أبى طلحة الهاشمي لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيرا". ويذكر السيوطي أن البخاري اعتمد على هذه الرواية كثيراً

(٢٧٥) أنظر فى الزركشى الدرر الكامنة ٤/ ١٧ وشذرات الذهب ٦/ ٣٣٥ وحسن المحاضرة ١/ ٤٣٧ وإنباء الغمر بأبناء العمر ١/ ٤٤٦.

obeikandi.com

في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس[٢٧٦].. وكأنها بعض ما حمله البخاري عن مصر في رحلته إليها لتدوين الحديث عن جلة رواته فيها. وتظل مصر معنية بالقرآن وتفسيره وأحكامه، ويؤلف أبو جعفر الطحاوي الفقيه الحنفي المتوفى سنة ٣٢١ كتاباً في أحكام القرآن. ويعنى أبو جعفر النحاس بعلوم القرآن، ولا يلبث أحد تلاميذه،وهو أكر بكر الأدفوي [٢٧٧]. محمد بن على المصري المقرئ المتوفى سنة ٣٨٨ أن يؤلف في التفسير كتاباً ضخماً يقول المترجمون له إنه كان في مائة وعشرين مجلداً، وسماه كتاب الاستغناء في علوم القرآن، وأهم تلاميذه الحوفي المار ذكره بين النحاة، وله كتاب البرهان في تفسير القرآن في ثلاثين مجلداً ويقول القفطي: صنف كتاباً كبيراً في إعراب القرآن في عشرة مجلدات. وهو وأستاذه أهم المفسرين في زمن الفاطميين،وممن نلتقي به في زمن الأيوبيين المرسى[٢٧٨]. السلمي محمد بن عبد اله نز مصر واستر بها سنة ٦٢٤ وتوفي سنة ٦٥ وله تفسير كبير في أكثر من عشرين جزءاً سماه "ري الظمآن في تفسير القرآن". وكان يعاصره العز بن عبد السلام الفقيه الشافعي المشهور وله تفسير، منه مخطوطة بدار الكتب المصرية، بناه على الوجه البيانية والبلاغية في أي الذكر الحكيم.

---

(٢٧٦) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/ ٢٢٣.

(٢٧٧) نظر الإدفوى فى طبقات المفسرين للسيوطى وحسن المحاضرة ١/ ٤٩٠ وطبقات القراء ٢/ ١٩٨.

(٢٧٨) راجع فى المرسى السلمى طبقات المفسرين ص٣٥ ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٠٩ وشذرات الذهب ٥/ ٢٦٩.

obeikandi.com

ونمضى في زمن المماليك ونلتقي بالقرطبي [٢٧٩]. محمد بن أحمد نزيل مصر والمستقر بمدينة المنيا (منية الخصيب في الصعيد) المتوفى سنة ٦٧١ وله التفسير المشهور المسمى "جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن" ويلقانا بعده ابن[٢٨٠]. المنير أحمد بن محمد الإسكندري المتوفى سنة ٦٨٣ وله تفسير سماه "البحر الكبير في نخب التفسير" وكتاب ثان تتبع فيه آراء الزمخشري الاعتزالية التي بثها في تفسيره وحاول نقضها بما يتفق وآراء أهل السنة، سماه الانتصاف من الكشاف وهو مطبوع على هوامشه. ويتلوه ابن[٢٨١]. النقيب محمد بن سليمان المتوفى سنة ٦٩٨ وله تفسير كبير الحجم سماه "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير" وجعل له مقدمة كبيرة تحدث فيها عن الوجوه البلاغية فيه. وقد سقط الكتاب من يد الزمن، ربما لضخامة حجمه. وكان يعاصره عبد[٢٨٢]. العزيز الديريني المتصوف المتوفى سنة ٦٩٤ وله المصباح المنير في علم التفسير، وأيضاً كان يعاصره العلم[٢٨٣]. العراقي المصري المتوفى سنة ٧٠٤ وسمي العراقي نسبة إلى جده لأمه، وكان هذا الجد مصرياً غير أنه دخل العراق فلقب بهذا

---

(٢٧٩) أنظر القرطبى فى الديباج المذهب لابن فرحون (طبع فاس) ص ٢٧٩ وطبقات المفسرين للسيوطى ص٢٨ وشذرات الذهب ٥/ ٣٣٥.

(٢٨٠) راجع ابن المنير فى الديباج المذهب ٧٨ وشذرات الذهب ٥/ ٣٨١ والنجوم الزهراء ٧/ ٣٦١ وفوات الوفيات ١/ ١٣٢.

(٢٨١) أنظر ابن النقيب فى طبقات المفسرين ص ٣٢ وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٢ وفوات الوفيات ٢/ ٤٣٠.

(٢٨٢) راجع الديريني فى حسن المحاضر ٢/ ٤٢١.

(٢٨٣) أنظر فى العلم العراقى حسن الحاضرة ١/ ٤٢١ ونكت الهميان ص ١٩٥ والدرر الكامنة ٣/ ١٣.

obeikandl.com

الاسم الذي انتقل إلى حفيده، وله كتاب في الانتصار للزمخشري من أبن المنير وله مختصر في التفسير.

وأكبر المفسرين في القرن الثامن أبو حيان الأندلسي وتفسيره البحر المحيط مشهور، وكان قد اتخذ القاهرة دار مقام له غير أن عداده في الأندلسيين. وأهم المفسرين بعده جلال الدين السيوطي وله تفسير كبير يسمى "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" مطبوع في ستة مجلدات. وكان جلال الدين المحلى محمد بن أحمد المتوفى سنة ٨٦٤ فسر نحو نصف القرآن من أول سورة الكهف إلى آخره فأكمل تفسيره جلال الدين السيوطي من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء، وتفسيرهما مطبوع في جزء باسم تفسير الجلالين. ويدخل زمن العثمانيين، وأهم المفسرين فيه شمس الدين الخطيب[٢٨٤]. الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧ وله تفسير مطبوع يسمى السراج المنير.

وتموج مصر بحفاظ الحديث النبوي منذ نزلها الصاحبة وفي مقدمتهم أبو ذر الذي سكنها مدة وعقبة بن عامر الجهنى وعبد الله بن عمرو بن العاص، وظل ينزلها كثير من حفاظ التابعين وفي مقدمتهم نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب والأعرج عبد الرحمن بن هرمز صاحب أبى هريرة ويزيد بن أبى حبيب.وكثر حفاظ الحديث ورواته في القرن الثاني الهجري، ومن أهم أبو زرعة المتوفى سنة ١٥٨ وابن لهيعة المتوفى سنة ١٧٤ والليث بن سعد الفقيه المشهور، وعبد الله[٢٨٥]. بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم

---

(٢٨٤) راجع فى الخطيب الشربينى شذرات الذهب ٨/ ٣٨٤.

(٢٨٥) هو من أوائل من جمعوا الحديث بمصر، وقد عثر على كتابه أخيراً فى ورق بردى بمدينة إدفو فى جنوبي مصر وأسمه الجامع فى الحديث، وهو مكتوب فى القرن الثالث الهجرى، وقد نشر هذا الكتاب فى

obeikandi.com

تلميذا مالك والإمام الشافعي وتلاميذه: البويطي وحرملة والمزني والربيع. ومن كبار الحفاظ حينئذ أسد السنة المتوفى سنة ٢١٢ وأحمد بن صالح المتوفى سنة ٢٤٨ والحارث بن مسكين المتوفى سنة ٢١٢ وأحمد بن صالح المتوفى سنة ٢٤٨ والحار بن مسكين المتوفى سنة ٢٥٠ ويونس عبد الأعلى المتوفى سنة ٢٦٤ ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٦٨. ولاشتهار مصر بحفاظ الحديث نزلها في طلبه من أصحاب الصحاح السنة البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه والنسائي وقد اتخذها دار مقام له حتى توفي سنة ٣٠٣ ومن مصنفاته: السنن الكبرى والصغرى وهى إحدى الصحاح الستة، وله مسند على ومسند مالك. ويلقانا الطحاوي الفقيه الحنفي وله في الحديث كتاب السنن ومعاني الآثار ومشكل الآثار، وابن حنزابة وزي ركافور المتوفى سنة ٣٩١ وكان له مجلس لإملاء الحديث في وزارته، وسمع الدراقطني حافظ العراق في زمنه وصاحب كتاب السنن الكبرى وغيره المتوفى سنة ٣٨٥ أنه يؤلف مسنداً فجاء مصر ليعينه، تمول، وكان فيها يروى الحديث ويمليه، ويأخذه عن حفاظة المصريين ويأخذه المصريون عنه. ومن أهم تلاميذه بمصر عبد[٢٨٦]. الغني بن سعيد الحافظ المتقن المتوفى سنة ٤٠٩ وله في الحديث المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال وكتاب مشتبه النسبة. وأشهر والمحدثين

المعهد الفرنسى بالقاهرة. وأنظر فى ابن وهب حسن المحاضرة ١/ ٣٠٢، ٣٤٦ والديباج المذهب ١٨٧ وتهذيب ١٠/ ٣٧٢ وميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٨٦ وبروكلمان ٣/ ١٥٥.

(٢٨٦) أنظر فى عبد الغني المنتظم ٧/ ٢٩٠ وابن خلكان ٣/ ٢٢٣ وتذكرة الحفاظ ٣/ ٢٥٠ وشذرات الذهب ٣/ ١٨.

obeikandl.com

بمصر في القرن الخامس تلميذه الحبال[٢٨٧]. الإمام الحافظ المتوفى سنة ٤٨٢ وله مصنفات مختلفة، وجمع عوالي سفيان بن عُيَيْنه.

وينزل الإسكندرية سنة ٥٢١ السلفي [٢٨٨]. أكبر الحفاظ في القرن السادس الهجري، وقد قصده طلاب الحديث النبوي من كل فج، على نحو ما يصور ذلك معجمه، وهو مطبوع، وبني له العادل بن السلار وزير الظافر الفاطمي مدرسة سنة ٥٤٦. كما مر بنا. وفوض أمرها إليه، وسمع عليه الحديث صلاح الدين الأيوبي حين صارت مصر إليه وبعض أبنائه وأهل بيته، وظلت إليه الرحلة في الحديث حتى توفي سنة ٥٧٦. ومن أهم تلاميذه أبو الحسن على[٢٨٩]. بن المفضل المالكي المقدسي ثم السكندري المتوفى سنة ٦١١ تولى القضاء بالإسكندرية ودرس بمدرسة ابن شكر في القاهرة، وله كتاب الأربعين، وهو أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً.

ونزل مصر الحافظ ابن دحية الأندلسي واستوطنها وتولى بها دار الحديث[٢٩٠].الكاملية حتى توفي في سنة ٦٣ وولى مشيخة هذه الدار بعده زكى الدين المنذري الحافظ الكبير الإمام شيخ الإسلام عبد[٢٩١]. العظيم بن عبد القوى المصري

---

(٢٨٧) راجع فى الحبال حسن المحاضرة ١/ ٣٥٣.

(٢٨٨) انظر فى السلفى طبقات المفسرين للسيوطى ص٦ وطبقات الحفاظ له ٢/ ٣٩ وابن خلكان ١/ ١٠٥ وتذكرة الحفاظ وأزهار الرياض ٣/ ١٦٧ – ٢٨٣وتهذيب ابن عساكر ١/ ٤٤٩ والسبكى ٦/ ٣٢ والانساب ٣٠٢ وشذرات الذهب ٤/ ٢٥٥ وطبقات القراء ١/ ١٠٢ وميزان الاعتدال ١/ ١٥٥.

(٢٨٩) راجع فى ابن المفضل حسن المحاضرة ١/ ٣٥٤ وشذرات الذهب ٥/ ٤٧.

(٢٩٠) ذكر السيوطى فى حسن المحاضرة ٢/ ٢٦٢ ثبتا بمن تولوا هذه الدار من كبار المحدثين.

(٢٩١) أنظر فى عبد العظيم طبقات الحافظ للسيوطى ٢/ ٥٩ والسبكى ٨/ ٣٥٩ وحسن المحاضرة ١/ ٣٥٥

obeikandl.com

الشافعي المتوفى سنة ٦٥٦ يقول السيوطي إنه انقطع لمشيخة المدرسة الكاملية عشرين سنة، وكان عديم النظير في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه متبحراً في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله قيما بمعرفة غريبة، إماما حجة بارعاً في الفقه والعربية والقراءات. وله كتاب الترغيب والترهيب وهو أحاديث مرتبة حسب الموضوعات للترغيب في الخير والحق والترهيب من الشر والباطل، طبع مراراً. وله في الفقه شرح على كتاب التنبيه. وأهم تلاميذه الدمياطي [٢٩٢]. شرف الدين عبد المؤمن بن خلف المتوفى سنة ٧٠٥ لازم الحافظ المنذري واتخذه معيداً له، وقد ول مشيخة الظاهرية ودرس الحديث في المدرسة المنصورية: مدرسة المنصور قلاوون، وتحتفظ دار الكتب المصرية بكثير من مصنفاته في الحديث.

ومن كبار المحدثين في القرن الثامن عز الدين بن[٢٩٣] جماعة الشافعي المتوفى سنة ٧٦٧ ولى القضاء، واشتهر بإكثاره من سماع الحديث ودرس في المدرسة الخشابية، صنف تخريج أحاديث الإمام الرافعي الشافعي وغير ذلك. ويعنى بشرح البخاري غير حافظ في هذا القرن ويكثر التأليف في الحديث ومصطلحه على نحو ما يلقانا عند

وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٧ وتذكرة الحفاظ للذهبى ٤/ ٢٢٨ وفوات الوفيات ١/ ٦١٠.

(٢٩٢) راجع فى الحافظ الدمياطى حسن المحاضرة ١/ ٣٥٧ وطبقات الحافظ ٢/ ٦٥ والسبكى ١٠/ ١٠٢ وطبقات القراء ١/ ٤٧٢ وتذكرة الحفاظ ٤/ ٢٦٨ والدرر الكامنة ٣/ ٣٠ وفوات الوفيات ٢/ ٣٧ والبداية والنهاية ١٤/ ٤٠ والبدر الطالع ١/ ٤٠٣.

(٢٩٣) أنظر فى ابن جامعة حسن المحارة ١/ ٣٥٩ وشذرات الذهب ٦/ ٢٠٨ والسبكى ١٠/ ٧٩ والدرر الكامنة ٢/ ٤٨٩.

obeikandl.com

معلطاي[٢٩٤]. المتوفى سنة ٧٦٢ يقول السيوطي له أكثر من مائة تصنيف كشرح البخاري وشرح ابن ماجة، وولى مشيخة الظاهرية للمحدثين. ويلقانا بعده الحافظ[٢٩٥]. العراقي المولود بالقاهرة والمتوفى بها سنة ٨٠٦ وله في الحديث مصنفات مختلفة، منها منظومة في ألف بيت اشتهرت مع شرحها في الآفاق، ومنها تخريج أحاديث كتاب الإحياء للغزالي. وأهم تلاميذه ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ يقول السيوطي عنه: "انتهت إليه الرحلة والرياسة في الحديث في لدنيا بأسرها. فلم يكن في عصره حافظ سواه، وألف كتباً كثيرة "مثل فتح الباري في شرح صحيح البخاري" وهو مطبوع، وله غير كتاب في تراجم المحدثين. وأهم الحافظ بعد السيوطي، وله شروح على الموطأ لمالك وصحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبى داود وابن ماجة إلى شروح أخرى كثيرة وإلى كتب في الحديث ومصطلحه وتخريجاته تعد بالعشرات[٢٩٦]. ومن أهمها جمع الجوامع وهو دائرة معارف كبرى في الحديث مع رواياته وأسانيده. ومر بنا في القراء ذكر معاصره شهاب الدين القسطلاني وله إرشاد الساري إلى صحيح البخاري، وهو مطبوع. ونلتقي في أيام العثمانيين بعبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ وله "كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق" وهو معجم يشتمل على عشرة آلاف حديث اختارها من أربعة وأربعين كتاباً، وهو مطبوع مراراً. ويموج كتاب تاريخ الجبرتي بأسماء حفاظ الحديث وتلاميذهم وما كانوا يحملون من كتبه، ونكتفي بذكر أحد أعلامهم، وهو الحفني محمد بن سالم المتوفى

---

(٢٩٤) راجع فى مغلطاى حسن المحاضرة ١/ ٣٥٩ والدرر الكامنة ٥/ ١٢٢.

(٢٩٥) انظر فى العراقى الضوء اللامع لسخاوى ٤ رقم ٤٥٢ وحسن المحاضرة ١/ ٣٦٠ والشذرات ٧/ ٥.

(٢٩٦) انظر فى مؤلفات السيوطى فى الحديث كتابه حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠.

obeikandi.com

سنة ١١٨١ فقد ذكر الجبرتي أنه كان من جلة شيوخه الشيخ محمد البديري الدمياطي، يقول: "أخذ عنه التفسير والحديث والمسندات والمسلسلات والإحياء للإمام الغزالي وصحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبى داود وسنن النسائي وسنن ابن ماجة وكتاب الموطأ لمالك ومسند الشافعي والمعجم الكبير للطبراني والمعجم الأوسط والصغير له أيضاً وصحيح ابن حبان والمستدرك للنيسابوري وحلية الأولياء للحافظ أبى نعيم وغير ذلك[٢٩٧]". ولعل في هذا ما يدل بوضوح على نشاط مصر في دراسة الحديث النبوي وروايته حتى نهاية هذا العصر، فقد ظل حفاظة النابهون يعدون بالعشرات.

وكان لمصر نشاط خصب في الفقه، ومعروف أن أقدم المذاهب في النشأة المذهب الحفني، وتبعه المذهب المالكي فالمذهب الشافعي فالمذهب الحنبلي، وتأخرت مصر في التعرف على مذهب أبى حنيفة، إلى أن نزلها بعض قضاة بغداد الأحناف عملاً بقرار أبى يوسف تلميذ أبى حنيفة، وكان مقرباً لهارون الرشيد: أن يكون القضاة في الدولة العباسية أحنافاً وأهم هؤلاء القضاة الأحناف بكار[٢٩٨]. بن قتيبة الذي تولى قضاء مصر لعهد المتوكل سنة ٢٤٦ وظل بها حتى وفاته سنة ٢٧٠ وله تصانيف فقهية مختلفة. ولم تلبث مصر أن أنجبت إماما حنفياً كبيراً هو الطحاوي [٢٩٩]. أبو جعفر أحمد بن محمد بن

---

(٢٩٧) تاريخ الجبرتى ١/ ٢٨٩.

(٢٩٨) انظر فى بكار حسن المحاضرة ١/ ٤٦٣ وابن خلكان١/ ٢٧٩ والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ١/ ١٦٨ وتاج التراجم فى طبقات الحنفية لإبن قطلويغاً ص١٩.

(٢٩٩) راجع فى الطحاوى تهذيب ابن عساكر ٢/ ٥٤ والمتنظم ٦/ ٢٥٠ وحسن المحاضرة ١/ ٣٥٠ وابن خلكان ١/ ٧١ وطبقات القراء ١/ ١١٦ ١/ ١٠٢ وتاج التراجم ص ٨ والشذرات ٢/ ٢٨٨.

obeikandl.com

سلامة المتوفى سنة ٣٢١ وإليه انتهت رياسة الحنفية بمصر. وكتبه تعد مراجع أساسية في المذهب الحنفي، ومن أهمها الجامع الكبير في الشروط وكتاب اختلاف الفقهاء والمختصر في الفقه وله شروح كثيرة ورسالة في أصول الدين أو عقيدة أهل السنة والجماعة. وذكرنا آنفاً أن له في الحديث كتاب السنن ومعاني الآثار ومشكل الآثار. ومن أهم تلاميذه إسحق [٣٠٠]. بن إبراهيم الشاشي السمرقندي المتوفى سنة ٣٢٥ وقد استوطن مصر، وتولى القضاء بها. ويذكر السيوطي من فقهاء المذهب زمن الفاطميين عبد المعطى[٣٠١]. بن مسافر الذي فقه المذهب بموطنه في الإسكندرية على يد أبى بكر محمد بن إبراهيم الرازي، وكان ابن مسافر من حملة الحديث النبوي، ومنه سمع السلفي حين نزل الإسكندرية.

ويأخذ المذهب في النشاط بمصر منذ أنشأ فيها صلاح الدين المدرسة السيوفية لتدريسه. وقد عين بها عبد[٣٠٢]. الله الجريري وظل بها حتى توفي سنة ٥٨٤. وخلفه فيها – على ما يبدو – عبد[٣٠٣]. الوهاب بن النحاس الحنفي المعروف بالبدر بن المجن، وقد ظل يدرس بالسيوفية حتى توفي سنة ٥٩٩. وممن درسوا المذهب الحنفي بها أبو الحسن[٣٠٤]. الغزنوي المتوفى سنة ٦٣٢. ومن كبار فقهاء الأحناف في العهد الأيوبي يحيى

---

(٣٠٠) أنظر فى إسحق الجواهر المضية ١/ ١٣٦ والفوائد البهية ٢٢.

(٣٠١) راجع فى ابن مسافر حسن المحاضرة ١/ ٤٦٤ والجواهر المضية ١/ ٣٣٠.

(٣٠٢) انظر فى لجريرى حسن المحاضرة ١/ ٤٦٤.

(٣٠٣) راجع فى ابن النحاس حسن المحاضرة ١/ ٤٦٤ وشذرات الذهب ٤/ ٣٤١.

(٣٠٤) أنظر فى الغنزوى حسن المحاضرة ١/ ٤٦٥ والجواهر المضية ١/ ٣٥٢.

obeikandl.com

بن معطى المغربي المتوفى سنة ٦٢٨ وأبو[٣٠٥]. القاسم القوصي المتوفى سنة ٦٤٣. وينشط المذهب الحنفي بمصر منذ زمن المماليك إذ جعل الظاهر بيبرس القضاء شركة بين أصحاب المذاهب الأربعة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، فكان لكل مذهب قاضيه، وأيضاً فإنه جعل للحنفية نصيباً في مدرسته الظاهرية وأول حنفي درس المذهب بها لأيامه عبد الرحمن بن عمر بن العديم المتوفى سنة ٦٧٧. وممن درس المذهب بالسيوفية لؤلؤ [٣٠٦]. بن أحمد وأبو بكر[٣٠٧]. بن محمد الإسنوي. ومن قضاتهم النعمان[٣٠٨]. بن الحسن المتوفى سنة ٦٩٢ وعلى بن نصر المتوفى سنة ٦٩٥ وله كتاب زوائد الهداية على القدوري. ويختم القرن السابع بابن النقيب الذي مر ذكره بين المفسرين. ومن فقهاء القرن الثامن النابهين أحمد[٣٠٩]. بن إبراهيم السروجي المدرس بالسيوفية المتوفى سنة ٧١٠ وقد ولى القضاء، وله شرح في كتاب الهداية للمرغيناني. وابن[٣١٠]. يلبان المتوفى سنة ٧٣١ وله شرح على الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني ورتب صحيح ابن حبان على الأبواب وكذلك معجم الطبراني. وكان يعاصره ابن[٣١١]. التركماني المتوفى سنة

---

(٣٠٥) أنظر القوصى فى حسن المحاضرة ١/ ٤٦٥ والجواهر المضية ١/ ٣٠٤.

(٣٠٦) أنظر فى لؤلؤ حسن المحاضرة ٢/ ٤٦٦ والجواهر المضية ١/ ٤١٦.

(٣٠٧) راجع فى النعمان حسن المحاضرة ١/ ٤٦٧.

(٣٠٨) راجع فى النعمان حسن المحاضرة ١/ ٤٦٧ والجواهر المضية ٢/ ٢٠١.

(٣٠٩) أنظر فى السروجى حسن المحاضرة ١/ ٤٦٨ والجواهر المضية ١/ ٥٣ وتاج التراجم ص١١.

(٣١٠) راجع فى ابن يلبن حسن المحاضرة ١/ ٤٦٨ والجواهر المضية ١/ ٣٥٤ وتاج التراجم ص ٤٣.

(٣١١) أنظر فى ابن التركمانى حسن المحاضرة ١/ ٤٦٩ والجواهر المضية ١/ ٣٤٥ وتاج التراجم ص٤٠ والدرر الكامنة ٣/ ٤٩.

obeikandl.com

٧٣١ وكان يدرس المذهب بمدرسة المنصور قلاوون، وألقى بها شرحاً له على الجامع الكبير أملاه دروساً على الطلاب. وأنجب فقهين: أحمد[٣١٢]. المتوفى سنة ٧٤٤ ومن تصانيفه شرح الهداية وشرح الجامع الكبير. وعلى[٣١٣]. المتوفى سنة ٧٤٥ وله مختصر الهداية ومختصر علوم الحديث لابن الصلاح، وتولى قضاء الديار المصرية. وكان يعاصرهما فخر الدين الزيلعي[٣١٤]. المتوفى سنة ٧٤٣ وله شرح على كتاب كنز الدقائق في الفروع للحافظ النسفي سماه تبيين الحقائق على كنز الدقائق طبع بمصر في ستة أجزء. ويلقانا السراج[٣١٥]. الهندي قاضي القضاة بالديار المصرية المتوفى سنة ٧٧٣ وله شرح الهداية والشامل في الفروع وشرح البديع، وكان يعاصره ابن[٣١٦]. أبى الوفا عبد القادر محمد المتوفى سنة ٧٧٥ وهو صاحب كتاب الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية المثبوت في الهوامش. ونلتقي بأكمل[٣١٧]. الدين البابرتي المتوفى سنة ٧٨٦ وله شروح كثيرة على أمهات كتب الفقه الحنفي منها شرح الهداية وشرح البزدوي.

---

(٣١٢) راجع أحمد فى حسن المحاضرة ١/ ٤٦٩ والجواهر المضية ١/ ٧٧.

(٣١٣) انظر على حسن المحاضرة ١/ ٤٦٩ والجواهر المضية ١/ ٣٦٦.

(٣١٤) راجع فى الزيلعى حسن المحاضرة ١/ ٤٧٠ والجواهر المضية ١/ ٣٤٥ والدرر الكامنة ٣/ ٦١.

(٣١٥) أنظر فى السراج حسن المحاضرة ١/ ٤٧٠ والدرر الكامنة لابن حجر ٣/ ٢٣٠ والفوائد البهية ١٤٩ وإنباء الغمر ١/ ٢٧.

(٣١٦) راجع فى ابن أبى الوفا حسن المحاضرة ١/ ٤٧١ والدرر الكامنة ٣/ ٦ والفوائد البهية ٩٩ وإنباء الغمر ١/ ٦٦.

(٣١٧) أنظر فى البابرتى حسن المحاضرة ١/ ٤٧١ والفوائد البهية ١٩٥ وإنباء الغمر ١/ ٢٩٨.

obeikandl.com

وما يـزال الـسيوطي في حـسن المحـاضرة يعـدد فقهـاء الحنفيـة وقـضاتهم بالـديار المصرية، حتى نصل، إلى[٣١٨]. ابن الهمام كمال الدين محمد بـن عبـد الواحـد المتـوفى سـنة ٨٦١ وله مصنفات مختلفة في مذهبه أهمها فتح القدير، وهـو شرح عـلى كتـاب الهدايـة للمرغيناني، طبع بمصر في ثمانية أجزاء. ونلتقي بالقاسم[٣١٩]. بـن قطلوبغـا المتـوفى سـنة ٨٧٩ وهو صاحب كتاب تاج الـتراجم في طبقـات الحنفيـة المـذكور في الهـوامش ولـه مصنفات فقهية مختلفة. ونمضى إلى زمن العثمانيين وينشط منذ هذا التاريخ بمصر الفقه الحنفي وأصحابه، إذ كان القضاء في الدولة العثمانيـة للأحنـاف وحـدهم. ومـن كبـار فقهاء الأحناف في أيامهم زين العابدين[٣٢٠].بن نجـيم المـصري المتـوفى سـنة ٩٧٠ ولـه كتاب الأشباه والنظار في الفقه الحنفي، وهو مطبوع، وكتـاب البحـر الرائـق عـلى كنـز الدقائق وهو مطبوع أيضاً في عدة أجزاء. ومنهم شمس الدين التمرتاشي الغزي المتـوفى بالقاهرة سنة ١٠٠٤ وله في الفقه الحنفي تنوير الأبـصار وجـامع البحـار. ومـنهم أبـو الإخلاص الشرنبلاوي المتوفى سنة ١٠٦٩ وهو من علماء الأزهر، وله مصنفات مختلفة في فقه الأحناف لاتزال مخطوطة ومحفوظة بـدار الكتـب المـصرية. ومـنهم الـسد أحمـد الحموي وله تصانيف عدة،منها شرح الكنز وحاشية الدرر والغرر، توفي سـنة ١١٤٢. ويحصى الجبرتي في تاريخه أسماء كثيرين منهم إلى نهاية الأيام العثمانية.

---

(٣١٨) أنظر فى ابن الهمام الضوء اللامع ٨ رقم ٣٠١ والشذرات ٧/ ٢٩٨ والبـدر الطـالع ٢/ ٢٠١ وحـسن المحاضرة ١/ ٤٧٤.

(٣١٩) راجع فى ابن قطلوبغا الضوء اللامع ٦/ ٦٣٥ والشرات ٨/ ٣٢٦ والبدر الطالع ٢/ ٤٥.

(٣٢٠) انظر فى ابن نجيم خلاصة الأثر للمحبى ودائرة المعارف الإسلامية.

obeikandl.com

وكان انتشار المذهب المالكي في مصر مبكراً، وكان بعاصر مالكاً فقيه مصري كبير هو الليث[٣٢١]. بن سعد المتوفى سنة ١٧٥ وفيه يقول الشافعي: "الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به" يريد أن أصحابه وتلاميذه المصريين لم يحملوا عنه مذهبه. ولو أنهم حملوه لأصبح مذهباً مستقلاً بجانب المذاهب الأربعة، غير أنهم آثروا عليه مذهب مالك إمام المدينة (دار الهجرة). وكان من أهم تلاميذ مالك الذين حملوا مذهبه عنه عبد الله بن وهب، جامع أول كتاب بمصر في الحديث كما مر بنا آنفاً، وعبد [٣٢٢]. الرحمن بن القاسم المتوفى سنة ١٩١ وقد فرع على أصول مذهبه فروعاً كثيرة سحبها في مؤلفه المشهور باسم المدونة، وعنه حملها سحنون القيرواني إلى تونس موطنه، ونشر المذهب المالكي هناك ولا يزال غالباً على بلاد المغرب إلى اليوم. وممن تتلمذ عليه وعلى عبد الله بن وهب يحيى بن يحيى الليثي ناشر مذهب مالك في الأندلس، وكان قد حضر دروس مالك في كتابه الموطأ وتفقه بهذين المصريين[٣٢٣]. ثم عاد إلى موطنه ينشر المذهب حتى غلب على أهل الأندلس كما غلب على أهل المغرب. ومن كبار تلاميذ مالك المصريين أيضاً عبد[٣٢٤]. الله بن عبد الحكيم المتوفى سنة ٢١٤ وإليه أفضت رياسة

---

(٣٢١) راجع فى الليث تاريخ بغداد ١٣٣ وابن خلكان ٤/ ١٢٧ والنجوم الزاهرة ٢/ ٨٢ وصفة الصفوة ٤/ ٢٨١ وتذكرة الحفاظ ٢٢٥ وميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٣ وتهذيب التهذيب ٨/ ٤٥٩ وعبر الذهبي ١/ ٢٦٦.

(٣٢٢) أنظر فى ابن القاسم الديباج المذهب ١٤٦ وابن خلكان ٣/ ١٢٩ وتذكرة الحفاظ ٣٥٦ والتهذيب لابن حجر ٦/ ٢٥٢ والشذرات ١/ ٣٢٩ وحسن المحاضرة ١/ ٣٠٣.

(٣٢٣) المغرب لابن سعيد (نشر دار المعارف) ١/ ١٦٣.

(٣٢٤) أنظر فى عبد الله بن عبد الحكيم حسن المحاضرة ١/ ٣٠٥ والديباج المذهب ٩٨ وعبر الذهبى

obeikandl.com

المالكية في مصر بعد ابن القاسم وابن وهب، وخلفه على رياسته ابنه محمد[٣٢٥]. المتوفى سنة ٢٦٨. وكان يعاصره الحارث[٣٢٦]. بن مسكين، وقد حمله المأمون إلى بغداد في أيام محنة خلق القرآن،وسجنه لأنه لم يجب إلى القول بخلقه، ورد إليه حريته المتوكل وولاه قضاء مصر سنة سبع وثلاثين ومائتين، وظل يتولى قضاءها ثمانى سنوات، وتوفي سنة ٢٥٠. ويعد السيوطي في حسن المحاضرة من تلامذة ابن وهب وابن القاسم وعبد الله بن عبد الحكم خمسة عشر فقيهاً مالكياً اشتهروا بمصر. وممن نلتقي به في أوائل القرن الرابع أحمد[٣٢٧]. بن الحارث بن مسكن، جلس مجلس أبيه بعده بجامع عمرو ويدرس للناس الفقه المالكي حتى توفي سنة ٣١١. وكثير من الفقهاء حينئذ ينسبون إلى الإسكندرية والصعيد، إذ كان المذهب منتشراً بهما. ومن فقهاء الإسكندرية أبو الحسن[٣٢٨]. المعافري قاضيها المتوفى سنة ٣٣٩ وكان يعاصره أبو الذكر[٣٢٩]. الأسواني قاضي مصر المتوفى سنة ٣٤٠. ونمضى إلى زمن الفاطميين،وقد عد السيوطي من

١/ ٣٦٦ وابن خلكان ٣/ ٣٤ وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٨٩ والشذرات ٢/ ٣٤.

(٣٢٥) راجع فى محمد حسن المحاضرة ١/ ٣٠٩ والديباج المذهب ٢٣١ والسبكى والوافى بالوفيات ٣/ ٣٣٨ والشذرات ٢/ ١٥٤ وميزان الاعتدال ٣/ ٦١١.

(٣٢٦) أنظر فى الحارث رفع الإصر عن قضاة مصر ١/ ١٦٧ والسبكى ٢/ ١١٣ وتذكرة الحفاظ ٥١٤ وتاريخ بغداد ٨/ ٢١٦ وابن خلكان ٢/ ٥٦.

(٣٢٧) راجع أحمد فى حسن المحاضرة ١/ ٤٤٩ والديباج المذهب ٣٧.

(٣٢٨) أنظر فى المعافرى حسن المحاضرة ١/ ٤٤٩ والغبر ٢/ ٢٥٠.

(٣٢٩) راجع فى أبى الذكر حسن المحاضرة ١/ ٤٤٩ والطالع السعيد للإدفوى ٣٦٤.

obeikandi.com

الفقهاء المالكين لعهدهم ستة عشر فقيهاً، منهم أبو[٣٣٠]. بكر النعالي إمام المالكية بمصر في وقته. وإليه كانت الرحلة والإمامة بمصر في وقته. وإليه كانت الرحلة والإمامة بمصر، وكانت حلقته في الجامع تدول على سبعة عشر عموداً لكثرة من يحضرها. توفي سنة ٣٨٠ ومنهم أبو القاسم[٣٣١]. الجوهري المتوفى سنة ٣٨١ مصنف مسند الموطأ لإمام المذهب مالك. ونزل بالقاهرة القاضي عبد[٣٣٢]. الوهاب فقيه بغداد المالكي وكان شاعراً بارعاً، ويقال إنه يوم فصل عن بلده شيعه من أكابرها وأصحاب محابرها جملة وافرة وأنه قال لهم: لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية، واجتاز بمعرة النعمان بلدة أبي العلاء فأضافه،وله في الإشادة بفقهه وبشعره:

إذ تفقه أحيا مالكا جدلاً وينشر الملك الضَّلِّيل إن عرا

والملك الضليل: أمرؤ القيس. وتوجه إلى مصر فحمل لواء المالكية بها والثالث في يديه الرغائب. ولم يلبث أن ألم به مرض الموت سنة ٤٢٢ فكان يقول– كما مر بنا– لا إله إلا الله عندما عشنا متنا. ومن كبار فقهاء المالكية حينئذ أبو[٣٣٣]. بكر الطرطوشي نزيل الإسكندرية المتوفى سنة ٥٢٥ واشتهر بكتابين له في السياسية ألفهما أو ألف أحدهما

(٣٣٠) أنظر فى النعالى حسن المحاضرة ١/ ٤٥٠ والديباج المذهب ٢٥٨.

(٣٣١) راجع فى الجوهرى حسن المحاضرة ١/ ٤٥١ والعبر ٣/ ١٧.

(٣٣٢) انظر فى عبد الوهاب حسن المحاضرة ١/ ٣١٤ والعبر ٣/ ١٤٩ وابن خلكان ٣/ ٢١٩ والديباج المذهب وفوات الوفيات ٢/ ٤٤ والشذرات ٣/ ٢٢٣.

(٣٣٣) راجع فى الطرطوشى حسن المحاضرة ١/ ٤٥٢ والصلة لابن بشكوال : ٥٤٥ والمغرب ٢/ ٢٤٢ وابن خلكان ٤/ ٢٦٢ والعبر ٤/ ٤٨ وأزمار الرياض ٣/ ١٦٢.

obeikandi.com

لوزير الفاطميين المأمون البطائحي هما سراج الملوك وسراج الهدى. ومن تلاميذه سند[٣٣٤]. بن عنان الأزدي المتوفى سنة ٥٤١ خلفه في حلقته وانتفع به الناس وله شرح المدونة. وكان يعاصره أبو القاسم[٣٣٥]. بن مخلوف الإسكندري أحد الأئمة الكبار من المالكية، تفقه به أهل الثغر زماناً.

ونمضى إلى زمن الدولة الأيوبية، ويلقنا صدر الإسلام أبو الظاهر[٣٣٦]. إسماعيل بنمكي تلميذ الطرطوشي المتوفى سنة ٥٨١ وقد طارت شهرته في المذهب، وقصده صلاح الدين الأيوبي وسمع منه الموطأ، وله مصنفات، قال فيه أبن فرحون: كان إمام عصره في المذهب وعليهم دار الفتوى. ومر بنا أن صلاح الدين أنشأ مدرسة للمالكية هي المدرسة القمحية، وتبعه ابن شكر وزير أخيه العادل، فأنشأ لهم مدرسة ثانية هي المدرسة الصاحبية، وأنشأ لهم وللشافعية لقاضى الفاضل مدرسة مشتركة هي المدرسة الفاضلية، وجعل الصالح أيوب مدرسته للمذاهب الأربعة. وأتاح ذلك كله للفقه المالكي بمصر نشاطاً واسعاً منذ زمن الأيوبيين،ومن كبار فقهائه حينئذ ابن شاس[٣٣٧]. عبد الله بن محمد شيخ المالكية وصاحب كتاب الجواهر الثمينة في المذهب، درس بالمدرسة القمحية، استشهد مجاهداً الفرنج بدمياط حين حاصروها سنة ٦١٦-٦١٨. ومن مدرسي هذه المدرسة الحسين[٣٣٨].بن عتيق ابن رشيق شيخ المالكية وصاحب الفتيا

---

(٣٣٤) انظر فى سند حسن المحاضرة ١/ ٤٥٢ والديباج المذهب ١٢٦.

(٣٣٥) راجع فى ابن مخلوف حسن المحاضرة ١/ ٤٥٣.

(٣٣٦) انظر فى أبى الطاهر حسن المحاضر ١/ ٤٥٢ والديباج المذهب ٩٥.

(٣٣٧) انظر فى ابن شاس البداية والنهاية ١٣/ ٨٦ وحسن المحاضرة ١/ ٤٥٤.

(٣٣٨) راجع فى ابن عتيق حسن المحاضرة ١/ ٤٥٥ والديباج المذهب ١٠٥.

obeikandl.com

في وقته، توفي سنة ٦٣٢. واشتهر بالإسكندرية من فقهاء المالكية ابن الصفراوي الـذي مر ذكره بين القراء. ومن كبار فقهاء المذهب ابن الحاجب الذي مر ذكـره بـين النحـاة، وله مختصر الفروع في الفقه المالكي اعتمد فيه على جواهر الفقيه ابن شاس وأضاف إليه زيادات من كتب مختلفة، وله شروح لا تزال مخطوطة ومحفوظـة بـدور الكتـب. وكـان يعاصره رفيقه عبد الكريم[٣٣٩]. بن عطاء الله الإسكندراني، كان إماماً في الفقه والأصول والعربية، ومن تـصانفيه شرح التهـذيب ومختـصر التهـذيب ومختـصر المفـصل. ومـن تصانيفه شرح التهذيب ومختصر التهذيب ومختصر المفصل.

ونمضى في زمن المماليك، ونلتقي بأبي حفص عمر[٣٤٠]. بن عبـد الله الـسبكي المتـوفى سنة ٦٦٩ وهو أول من ولى قضاء المالكية حين جعل الظاهر بيـبرس مـن كـل مـذهب قاضياً.وولى قضاء المالكية بعده نفيس [٣٤١]. الدين محمد بن هبة الله بن شكر المتوفى سـنة ٦٨٠. وكان يعاصره القرافي [٣٤٢]. شهاب الدين أحمد بن إدريس المتـوفى سـنة ٦٨٢ ولى التدريس في مدرسة الصالح نجم الدين أيوب المعروفة بالصالحية وقد صنف في الفقـه المالكي وفي الأصول الكتب المفيدة مثل الذخيرة في مذهب مالـك وكتـاب الفـروق في الفقه المالكي وهو مطبوع. وكان يعاصره هو ونفيس الدين ابـن المنـير أحمـد بـن محمـد

(٣٣٩) أنظر فى عبد الكريم حسن المحاضرة ١/ ٤٥٦ والديباج المذهب ١٦٧.

(٣٤٠) راجع فى عمر السبكى حسن المحاضرة ١/ ٤٥٨.

(٣٤١) راجع فى القرافى حسن المحاضرة ١/ ٣١٦ والديباج المذهب ٦٢ والمنهل الصافى لابـن تغـرى بـردى (طبع دار الكتب) ١/ ٢١٥.

(٣٤٢) راجع في القرافي حسن المحاضرة ١/ ٤٥٨ المذهب ٦٢ والمنهل الصافي لابن تغزي بـردي (طبـع دار الكتب) ١/ ٢١٥

obeikandl.com

قاضي الإسكندرية الذي مر ذكره بين المفسرين، وكان إماماً فاضلاً متبحرًا، وله في الفقه مختصر التهذيب.

ويلقانا في القرن الثامن تاج(٣٤٣) الدين بن عطاء الله الإسكندري المتصوف المشهور المتوفى سنة ٧٠٩ وله في الفقه تهذيب المدونة غير كتب كثيرة في التصوف. وكان يعاصره قاضي القضاة على (٣٤٤) بن مخلوف النوبري المتوفى سنة ٧١٣ ولى قضاء الديار المصرية ثلاثا وثلاثين سنة.ومن كبار فقهاء المالكية ابن (٣٤٥) الحاج محمد بن محمد العبدري المتوفى سنة ٧٣٧ وله كتاب المدخل وهو كتاب نفيس في أربعة أجزاء يصف فيه أحوال البلاد الخلقية والإجتماعية وما يتصل بذلك من العادات عند العامة وغيرها، ومع نقد نزيه ومع بيان للعلاج الشرعي الملائم. وكان يعاصره الزواوي (٣٤٦) عيسى بن مسعود المتوفى سنة ٧٤٣ وإليه انتهت ورياسة المالكية، وله مصنفات مختلفة، منها شرح صحيح مسلم وشرح مختصر ابن الحاجب في الفقه وشرح المدونة، وتاريخ ومناقب مالك وأكثر فهاء المالكية في اقرن الثامن شهرة خليل (٣٤٧) بن اسحق

---

(٣٤٣) انظر فى ابن عطاء الله حسن المحاضرة ١/ ٤٢٤ وطبقات الشعرانى ٢/ ١٩ والسبكى ٩/ ٢٣ والخطط الجديدة لعلى مبارك ٧/ ٧٠ والبدر الطالع ١/ ١٠٧ والديباج المذه ٧٠ وشذرات الذهب ٦/ ١٩ والدرر الكامنة.

(٣٤٤) راجع فى ابن مخلوف النوبرى حسن الحاضرة ١/ ٤٥٨ والدرر الكامنة.

(٣٤٥) انظر فى ابن الحاج حسن المحاضرة ١/ ٤٥٩ والديباج المذهب ٣٣٧ والدرر الكامنة ٤/ ٣٥٥.

(٣٤٦) راجع فى الزواوى حسن المحاضرة ١/ ٤٥٩ والدرر الكامنة.

(٣٤٧) انظر فى خليل حسن المحاضرة ١/ ٤٦٠ والديباج المذهب ١١٧ ونيل الابتهاج ص ٩٥ والدرر الكامنة ٢/ ١٧٥ ونفح الطيب (طبع بولاق) ٢/ ١٢٠.

obeikandi.com

المتوفى سنة ٧٦٧ وله كتاب المختصر في الفقه المالكي، ويعنى بتدريسه المالكية منذ ظهوره وخاصة في المغرب ويعرف هناك باسم مختصر سيدي خليلك. وأهم تلاميذه (٣٤٨) بهرام بن عبد الله المتوفى سنة ٨٠٥ وله الشامل في الفقه وشرح مختصر أستاذه خليل. ونزل مر في زمنه عبد الرحمن بن خلدون وعداده في فقهاء المغرب. ونلتقي بالبساطي (٣٤٩) محمد بن أحمد شيخ الإسلام المتوفى سنة ٨٤٢ ولى القضاء، وكانت إليه الفتيا.

ويظل لفقهاء المالكية نشاطهم في بقية زمن المماليك وفي أيام العثمانيين. ومن أعلامهم في القرن الحادي عشر أبو الإمداد برهان الدين اللقاني المتوفى سنة ١٠٤١ وله مصنفات في علمي الكلام والفقه، وكان يعاصره نور الدين الأجهوري، وهو من شيوخ الأزهر المالكية وله مصنفات مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية. ونلتقي بكثيرين من فقهاء المالكية في تاريخ الجبرتي ومن أهمهم الزرقاني (٣٥٠) أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي المتوفى سنة ١١٢٢ خاتمة المحدثين. وشرحه على موطأ مالك مشهور، وأيضاً من أهمهم على (٣٥١) بن أحمد بن مكرم العدوى الصعيدي إمام المحققين وعمدة المدققين المتوفى سنة ١١٨٩ يقول الجبرتي عنه: "قبل ظهوره لم تكن

---

(٣٤٨) راجع فى بهرام حسن المحاضرة ١/ ٤٦١ والضوء اللامع ٣/ ٢٠.

(٣٤٩) انظر فى ابساطى حسن المحاضرة ١/ ٤٦٢ والضوء اللامع ٧/ ٥.

(٣٥٠) راجع الزرقانى فى تاريخ الجبرتى ١/ ٦٩.

(٣٥١) انظر ابن مكرم فى تاريخ الجبرتى ١/ ٤١٤.

obeikandl.com

المالكية تعرف الحواشي على شروح كتبهم الفقهية، فهو أول من خدم تلك الكتب بها" ويعدد حواشيه ومن أهمها حاشية له على شرح الزرقاني على موطأ مالك.

وعلى شاكلة ازدهر مذهب مالك الفقهي بمصر كذلك كان مذ بالشافعي (٣٥٢) مزدهرا، بل رما كان أكثر ازدهارا، إذ نزل الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ مصر، وأكتمل له فيها مذهبه الفقهي. وحمله عنه تلاميذه من أبنائها ونشروه في العالم الإسلامي، كما مر بنا في غير هذا الموضع، بحث غدا أكثر المذاهب الفقهية الأربعة إتباعا. وبتميز مذهبه بإحكامه التوفيق بين المذهب الحنفي مذهب أهل الرأي، والمذهب المالكي مذهب أهل الحديث، وهو الذي أسس علم أصول الفقه بمبحثه الرائع الذي سماه الرسالة وفيها يبحث أدلة الأحكام الدينية وما يتصل بها من طرق الاستنباط والإجتهاد. وله في الفقه مصنفه المشهور: الأم، وهو مطبوع في القاهرة مثل الرسالة، وعُنى به فقهاء الشافعية طوال هذا العصر فاختصروه وشرحوه مرارا، ومثلهما كتاب السن المأثورة والمسند. وطبع له على هامش الأم كتاب اختلاف الحديث. وأهم تلاميذه بمصر البُوَيْطي والمُزَنى، أما البويطي فهو يوسف (٣٥٣) بن يحيى القرشي الإمام الجليل المتوفى سنة ٢٣١ يقول السيوطي عنه: أحد أئمة الإسلام وأركانه، كان خليفة

---

(٣٥٢) انظر الإمام الشافعى فى الجزء الأول من طبقات الشافية للسبكى وتايخ بغداد ٢/ ٥٦ ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٨١ وان خلكان ٤/ ١٦٣ ومعجم الأداء ١٧/ ٢٨١ وابن خلكان ٤/ ١٦٣ وتذكرة الحفاظ ٣٦١ تهذيب التهذيب ٩/ ٢٥ وصفة الصفوة ٢/ ١٤٠ وحلية الأولياء ٩/ ٦٣ والف كثيرون فى سيرته ومذهبه قديما وحديثا.

(٣٥٣) راجع فى البويطى السبكى ٢/ ١٦٢ وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٩ وعبر الذهبى ١/ ٤١١ وتهذيب التهذيب ١١/ ٤٢٣ وابن خلكان ٧/ ٦١ وحسن المحاضرة للسيوطى ١/ ٣٠٦.

obeikandl.com

الشافعي في حلقته بعده، وله في الفقه المختصر الشهور الذي اختصره من كلام الشافعي، وحمل إلى بغداد في محنة القول بخلق القرآن، فأصر على رأيه هناك وظل سجينا حتى توفى. المزنى (٣٥٤) هو إسماعيل بن يحيى المتوفى سنة ٢٦٤ وقد أخذ عنه خلائق من علاء خراسان والعراق والشام، ومضوا فنشروا المذهب في بلدانهم، وله في الفقه الشافعي: الجامع الكبير والجامع الصغير والمختصر والمنثور والمسائل المعتبرة وكتاب الوثائق وكتاب العقارب، سمي بذلك لصعوبته وفي كتاب طبقات الشافعية للسبكي غرائب منه. ومن كبار فقهاء الشافعية بمصر في القرن الثالث أبو زرعة (٣٥٥) محمد بن عثمان المتوفى سنة ٣٠٢ ولى قضاء مصر سنة ٢٨٤ ثماني سنين، ثم ولى قضاء دمشق، فأدخل فيها مذهب الشافعي وحكم به القضاة هناك، ولم يزل القضاء بعده للشافعية بمصر والشام إلى أن ضم الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣ القضاة الثلاثة من مذاهب أبى حنيفة ومالك وابن حنبل إلى الشافعية. وكان يعاصره النسائي ود مر ذكره بين أهل الحديث ومنور (٣٥٦) بن إسماعيل الفقيه المتوفى سنة ٣٠٦ وله مصنفات عدة في المذهب من أهمها كتاب الهداية والواجب والمستعمل والمسافر.

---

(٣٥٤) أنظر فى المزنى السبكى ٢/ ٩٢ والعبر ٢/ ٢٨ واللباب ٣/ ١٣٣ وابن خلكان ١/ ٢١٧ والنجوم الزاهرة ٣/ ٩ والسيوطى ١/ ٣٠٧ وشذرات الذهب ٢/ ١٤٨.

(٣٥٥) راجع فى أبى زرعة السبكى ٣/ ١٩٦ والسيوطى ١/ ٣٩٩ والعبر ٢/ ١٢٣ والشذرات ٢/ ٢٣٩.

(٣٥٦) انظر فى منصور السبكى ٣/ ٤٧٨ والسيوطى ١/ ٤٠٠ والمغرب فى حلى المغرب (قسم الفسطاط) ص ٢٦٢ وابن خلكان ٥/ ٢٨٩ ونكت الهميان ٢٩٧ ومعجم الأدباء ١٩/ ١٨٥ والمنتظم ٦/ ١٥٢.

obeikandl.com

ويلقانا في القرن الرابع أبو اسحق (٣٥٧) المروزي إبراهيم بن أحمد المتوفى سنة ٣٤٠ نزيل الفسطاط وكانت قد انتهت إليه رياسة المذهب في بغداد وانتشر عنده في البلاد، وشرح مختصر المزنى، وانتقل إلى الفسطاط وجلس في مجلس الشافعي واجتمع الناس عليه وضربوا إليه أكباد الإبل. وكان يعاصره أبو بكر (٣٥٨) بن الحداد محمد بن أحمد المتوفى سنة ٣٤٤ قاضي الفسطاط، وله كتاب الباهر في الفقه يقال إنه كان من مائة جزء، وله أيضاً كتاب جامع الفقه وكتاب الفروع والمولدات الذي شرحه كثيرون. ونمضى إلى زمن الفاطميين، وقد أحصى السيوطي عشرة من الفقهاء في المائة سنة الأولى من أيامهم، أهمهم القضاعي (٣٥٩) أبو عبد الله محمد بن سلامة المتوفى سنة ٤٥٤ مصنف كتب الشهاب، ولى قضاء الديار المصرية وأرسل به الخليفة المستنصر إلى الروم رسولا. وأحصى السيوطي في المائة الثانية من أيام الفاطميين تسعة من فقهاء الشافعية أهمهم الخلعي (٣٦٠) على بن الحسين المتوفى سنة ٤٩٢ وله في الفقه كتاب المغنى بين البسط والاختصار وربما كان أهم منه مجلي (٣٦١) بن جميع قاضي القضاة المتوفى سنة ٥٥٠ كان

---

(٣٥٧) راجع فى المروزى تاريخ بغداد ٦/ ١١ وابن خلكان ١/ ٢٦ والسيوطى ١/ ٣١٢.

(٣٥٨) انظر فى ابن الحداد السبكى ٣/ ٧٩ والسيوطى ١/ ٣١٣ وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٨ والعبر ٢/ ٢٤٦ وابن خلكان ٤/ ١٩٧ والوافى ٢/ ٦٩ والشذرات ٢/ ٣١٧.

(٣٥٩) راجع فى القضاعى السبكى ٤/ ١٥٠ وابن خلكان ٤/ ٢١٢ والوافى ٣/ ١١٦ والسيوطي ١/ ٤٠٣ والشذرات ٣/ ٢٩٣.

(٣٦٠) انظر فى الخلعى السبكى ٥/ ٢٥٣ والعبر ٣/ ٣٣٤ والسيوطى ١/ ٤٠٤ والشذرات ٣/ ٣٩٨ وابن خلكان ٣/ ٣١٧.

(٣٦١) راجع فى مجلى السبكى ٧/ ٢٧٧ والسيوطى ١/ ٤٠٥ والعبر ٤/ ١٤١ والشذرات ٤/ ١٥٧ وابن

obeikandi.com

من أئمة الفقهاء وكبارهم وله في الفقه مصنفات أهمها كتاب الذخائر. وكان يعاصره الفقيه الشافعي ابن رفاعة المتوفى سنة ٥٦١ وبمجرد أن يظل مصر لواء لاح الدين الأيوبي يؤسس مدرسة للشافعية وثانية للمالكية وثالثة للحنفية كما أسلفنا. وفوض القضاء بمصر للشافعية، فاتسع نشاطهم، وقد أسند صلاح الدين مدرستهم للخبوشاني (٣٦٢) محمد بن الموفق المتوفى سنة ٥٨٧ وله في الفقه كتاب تحقيق المحيط. ومن كبار فقهاء الشافعة في عهد الأيوبيين إبراهيم بن منصور العراقي المصري المتوفى سنة ٥٩٦ رحل إلى العراق وأقام به مدة ثم عاد إلى موطنه فعرف باسم العراق، وله شرح في كتاب المهذب لأبى اسحق الشيرازي أول مدرس للمدرسة النظامية ببغداد كان شرحا كبيراً في عشرة مجلدات. وكان يعاصره عبد (٣٦٣) الملك بن عيسى بن درباس المتوفى سنة ٦٠٥ قاضي قضاة الشافعية في عهد صلاح الدين، وأنا عنه أخاه عثمان(٣٦٤) في قضاء القاهرة وله شرح على المذهب سماه الاسقتصاء، وشرح ثان على كتاب اللمع لأبى اسحق الشيرازي، توفي سنة ٦٢٢. ويلقانا محمد(٣٦٥) بن عين الدولة المتوفى سنة ٦٣٩ قاضي القضاة بالقاهرة والوجه البحري، واشتهر لزمنه بأنه رد

خلكان ٤/ ١٥٤.

(٣٦٢) انظر فى الخبوشانى السبكى ٧/ ١٤ والسيوطى ١/ ٤٠٦ وابن خلكان ٤/ ٢٣٩ والعبر ٤/ ٢٦٢ والشذرات ٤/ ٢٨٨ والنجوم الزاهرة ٦/ ١١٥.

(٣٦٣) راجع فى ابن درياس السيوطى ١/ ٤٠٨ ورفع الإصر: ٣٦٧.

(٣٦٤) انظر فى عثمان السبكى ٨/ ٣٣٧ والسيوطى ١/ ٤٠٨ والشذرات ٥/ ٧ وابن خلكان ٢/ ٢٤٢.

(٣٦٥) راجع فى ابن عين الدولة السبكى ٨/ ٦٣ والسيوطى ١/ ٤١٢ والعبرة ٥/ ١٦٢ والشذرات ٥/ ٢٠٥.

obeikandi.com

شهادة السلطان الكامل، وقال له: أنت تحكم ولا تشهد. وأهم الفقهاء بعده في زمن الأيوبيين العز (٣٦٦) بن عبد السلام وقد مر لنا في الفصل السابق حديث عنه مع المماليك، ولى خطابة جامع عمرو بن العاص بالفسطاط والقضاء بها وبالوجه القبلي. ولما بنى السلطان الصالح نجم الدين أيوب مدرسته الصالحية فوض تدريس الشافعية بها إليه، وطالت أيامه إلى زمن المماليك إذ توفي سنة ٦٦٠ وله في الفقه كتاب القواعد الكبرى ومصنفات مختلفة ومر بنا أن له تفسيرا وكتاب في مجاز القرآن.

وقد أحصى السيوطي من فقهاء الشافعية زمن المماليك أكثر من مائة فقيه، لأكثرهم مصنفات وشروح على أمهات كتب الفقه الشافعي، ومن أهمهم ابن (٣٦٧) دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ وهو تلميذ العز بن عبد السلام وله مصنفات كبيرة في الفقه والحديث ومصطلحه.وكان يعاصره ابن الرفعة أحمد (٣٦٨) بن محمد المتوفى سنة ٧١٠ وهو ثالث الشيخين: الرافعي القزويني والنووي الدمشقي في الاعتماد عليه في ترجيح الآراء الفقهية في مذهب الشافعي، درس بالمدرسة المعزية وتولى الحسبة، وصنف تصنيفين عظيمين هما الكفاية في عشرين مجلدا والمطلب في ستين مجلدا. ومن كبار الفقهاء

---

(٣٦٦) انظر فى العز السبكى / ٢٠٩ والسيوطى ١/ ٣١٤ والشذرات ٥/ ٣٠١ والعبر ٥/ ٢٦٠ ومرية الجنان ٤/ ١٥٣ وفوات لوفيات ١/ ٥٩٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨.

(٣٦٧) راجع فى ابن دقيق العبد السبكى ٩/ ٢٠٧ والسيوطى ١/ ٣١٧ والشذرات ٦/ ٥ والبدر الطالع ٢/ ٢٢٩ ومرآة الحنان ٤/ ٢٣٦ والوافى ٤/ ١٩٣ والطالع السعيد للإدفوى ٣١٧ وفوات الوفيات ٢/ ٤٨٤ والدرر الكامنة ٤/ ٣١٠ وتذكرة الحفاظ ١٤٨١.

(٣٦٨) انظر فى ابن الرفعة السبكى ٩/ ٢٤ والسيوطى ١/ ٣٢٠ والشذرات ٦/ ٢٢ ومرآة الجنان ٤/ ٢٤٩ وابدر الطالع ١/ ١١٥ والدرر الكامنة ١/ ٣٠٣.

obeikandl.com

الشافعية القَمُولي (٣٦٩) أحمد بن محمد المتوفى سنة ٧٢٧ صاح البحر المحي في شرح الوسيط للغزالي وكتاب جوامع البحر جمع فيه فأوعى. وكان يعاصر بدر (٣٧٠) الدين بن جماعة قاضي القضاة بالديار المصرية المتوفى سنة ٧٣٣ وله تصنيفات في فنون كثيرة. ونلتقي بالزنكلوني (٣٧١) أبى بكر بن إسماعيل المتوفى سنة ٧٤٠ وله شرح على التنبيه لأبى اسحق الشيرازي عم النفع به وشرح ثان على المناهج للنووي. وكان يعاصره سليمان (٣٧٢) بن جعفر الإسنوي المتوفى سنة ٧٥٦ صنف طبقات الشافعية وهو مطوع. ونلتقي بتقي (٣٧٣) الدين السبكي على بن عبد الكافي المتوفى في نفس السنة المذكورة تلميذ ابن الرفعة وله مصنفات كثيرة في الفقه وشروح كتبه الكبرى. ومن تلاميذه ابنه بها الدين السبكي الذي مر ذكره بين البلاغيين، وله في الفقه شرح على كتاب الحاوي للشيخ نجم الدين القزويني المتوفى سنة ٦٦٥. وكان يعاصره عبد (٣٧٤)

---

(٣٦٩) راجع فى القمولى السبكى ٩/ ٣٠ والسيوطى ١/ ٤٢٤ والدرر الكامنة ١/ ٣٢٤ والشذرات ٦/ ٧٥ والطالع السعيد ١٢٥ والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٧٩.

(٣٧٠) راجع فى ابن جماعة السبكى ٩/ ١٣٩ والسوطى ١/ ٤٢٥ والدرر الكامنة ٣/ ٣٦٧ وفوات الوفيات ٢/ ٣٥٣ ونكت الهميان ٢٣٥ ومرآة الجنان ٤/ ٢٨٧ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٨.

(٣٧١) انظر فى الزنكلونى السيوطى ١/ ٤٢٦ والشذرات ٦/ ١٢٥.

(٣٧٢) راجع فى سليمان السيوطى ١/ ٤٢٩.

(٣٧٣) السبكى ترجم له أبنه بهاء الدين فى طبقات الشافعية ١٠/ ١٣٩ وانظر فى ترجمته السيوطى ١/ ٣٢١ والدر الكامنة ٣/ ١٣٤

(٣٧٤) انظر فى الإسنوى السيوطى ١/ ٤٢٩ والدرر الكامنة ٢/ ٤٦٣.

obeikandl.com

الرحيم بن الحسن الإسنوي المتوفى سنة ٧٧٧ صاحب التصانيف السائرة، منها المهمات والجواهر وشرح المنهاج والفروع وإليه انتهت رياسة الشافعية في زمانه.

ويلقانا ابن [٣٧٥] الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ وهو أكثر أهل زمنه تصنيفاً، ومن تصانيفه شرح التنبيه وشرح الحاوي وشرح المنهاج وشرح كتاب العمدة وما به من أحاديث موزعة على أبواب الفقه، وتوفي بعده بعام شيخ الإسلام البلقيني [٣٧٦] عمر بن رسلان وله في الفقه والحديث والتفسير تصانيف مختلفة، وحمل عن فقهه وعلمه ابنه علم الدين صالح المتوفى سنة ٨٦٨ وهو شيخ السيوطي. وكان يعاصره فقيهان هما المحلى والمناوي وبهما ختم السيوطي حديثه عن فقهاء الشافعية. ويعد السيوطي نفسه خاتمهم الحقيقي إذ توفي سنة ٩١١ كما مر بنا في الحديث عن اللغويين وله في القه مصنفات كثيرة منها مختصر الروضة للنووي وحاشية عليها ومختصر لكتاب التنبيه وشرح عليه وكتاب الأشباه والنظائر، واللوامع والبوارق في الجوامع والفوارق، غير رسائل كثيرة أحصاها في ترجمته لنفسه بحسن المحاضرة. ونلتقي بالشيخ زكريا [٣٧٧] الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ وله في الفقه مختصر مشهور هو المنهج وله شروح مختلفة.

ونمضى إلى زمن العثمانيين ويظل التصنيف في الفقه الشافعي ناشطا، ومن كبار الفقهاء في القرن العاشر ابن حجر [٣٧٨] الهيثمي المتوفى سنة ٩٧٣ وله الفتاوى

---

(٣٧٥) راجع فى ابن الملقن السيوطى ١/ ٤٣٨ والضوء الامع ٦/ ١٠٠ وشذرت الذه ٧/ ٤٤.

(٣٧٦) انظر فى البلقينى السيوطى ١/ ٣٢٩ والضوء اللامع ٦ رقم ٢٨٦ والشذرات ٧/ ٥١.

(٣٧٧) انظر فى الشيخ زكريا الضوء اللامع جـ ٣ رقم ٨٩٢ والكواك السائرة ١/ ١٩٦ والبدر الطالع ١/ ٢٥٢ والنور السافر ص ١٢٥.

(٣٧٨) راجع فى ان حجر الهيثمى مقدمة فتاويه والشذرات ٨/ ٣٧٠ والنور السافر ص ٢٨٧ والبدر الطالع

obeikandl.com

الهيثمية طبعت بصر في أربة مجلدات. وكان يعاصره شمس الدين الشربيني الخطيب الذي مر ذكره بين المفسرين، وله في الفقه شرح مناهج النووي، وهو مطبوع، وله شرح على متن أبى شجاع، ولسليمان البجيرمى حاشية عليه. ويكتظ كتاب تاريخ الجبرتي بأسماء فقهاء الشافعية وأشهر أثمنهم حينئذ الرملى (٣٧٩) المتوفى سنة ٩٥٧ وفتاويه تكتظ بها كتب الفقه الشافعي بعده.

وظلت مصر لا تعرف المذهب الحنبلي طويلا، ويعلل السيوطي ذلك بأن المذهب لم يبرز خارج العراق إلا في القرن الرابع، وكان الفاطميون بمصر وكانوا لا يهتمون بغير عقيدتهم الشيعية الغالبة، ويقال إنهم اضطهدوا في أول أمرهم المذاهب الثلاثة التي كانت قائمة بمصر، وهى مذاهب الشافعية والملكية والحنفية، فتأخر ظهور المذهب الحنبلي، وأول إمام لهم نزل مصر الحافظ عبد الغنى (٣٨٠) الجمّاعيلي المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ صاحب كتاب عمدة الأحكام في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام، وله شروح كثيرة. ولمؤلف العمدة كتاب الكمال في معرفة أسماء الرجال، وصنع له تهذيبا المزي جمال الدين يوسف بن الزكي وأكمل التهذيب معلطاي الذي مر ذكره. وأخذ المذهب الحنبلي يشيع في مصر منذ أنشأ السلطان الصالح نجم الدين أيوب مدرسته الصالحية سنة ٦٤١ إذ جعل للمذهب الحنبلي ودراسته فيها إيوانا بجانب أواوين

١/ ١٠٩.

(٣٧٩) انظر فى الرملى الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزى ٢/ ١١٩ والخطط التوفيقية (طبعة بولاق) ٤/ ١١٩.

(٣٨٠) انظر مصادر ترجمة عبد الغنى المقدسى فى قسم الشام ص ٥٨٤.

obeikandl.com

المذاهب الثلاثة السابقة، ودعم ذلك الظاهر بيبرس بضم قضاة للحنابلة والمالكية والحنفية بجانب قاضي الشافعية. وتوالى اهتمام المماليك، في تأسيس مدارسهم، بالفقه الحنبلي وفقهائه بجانب فقهاء المذهب الثلاثة الأخرى على نحو ما مر بنا في صدر هذا الفصل. ويترجم السيوطي في حسن المحاضرة لعشرين من فقهاء المذهب وقضاته في مصر مثل نجم (٣٨١) الدين أحمد بن حمدان الحراني المتوفى سنة ٦٩٥ مؤلف الرعاية الكبيرة عمر(٣٨٢) بن عبد الله المقدسي قاضي الديار المصرية المتوفى سنة ٦٩٦ وموفق (٣٨٣) الدين عبد الله بن عبد الملك المقدسي قاضي الديار المصرية لنحو ثلاثين سنة توفي سنة ٧٦٩، وناصر(٣٨٤) الدين نصر الله بن أحمد الكناني المتوفى سنة ٧٩٥ ناب عن وفق الدين في قضاء الحنابلة ثم استقل به ستا وعشرين سنة، وعماد (٣٨٥) الدين الحنبلي أبو بكر بن أبى المجد المتوفى سنة ٨٥٤ صف تجريد الأوامر والنواهي من كتاب الصحاح الستة، واختصر تهذيب الكمال للمزّي.

ويختم السيوطي فقهاء الحنابلة زمن المماليك بأستاذه أحمد (٣٨٦) بن إبراهيم الكناني العسقلاني الأصل المصري المولد، وفيه يقول: ولى قضاء الحنابلة بالديار المصرية،

---

(٣٨١) انظر فى نجم الدين السيوطى ١/ ٤٨٠ والشذارات ٥/ ٤٢٨ والمنهل الصافى ١/ ٢٧٢.

(٣٨٢) انظر فى عمر المقدسى السيوطى ١/ ٤٨٠ والشذرات ٥/ ٤٣٦ والنجوم الزاهرة ٨/ ١١١.

(٣٨٣) راجع فى موفق الدين السيوطى ١/ ٤٨١ والشذارت ٦/ ٢١٥.

(٣٨٤) انظر فى ناصر الدين السيوطى ١/ ٤٨١ والشذرات ٦/ ٤٣٤ والدرر الكامنة ٥/ ١٦٣ وانباء الغمر ١/ ٤٦٦.

(٣٨٥) راجع فى عماد الدين السيوطى ١/ ٤٨٢ والضوء واللامع ١١/ ٦٦ والشذرات ٧/ ٤٢.

(٣٨٦) انظر فى الكنانى السيوطى ١/ ٤٨٤ والضوء اللامع ١/ ٢٠٥ والشذرات ٧/ ٣٢١.

obeikandl.com

ودرس للحنابلة بغالب مدارس القاهرة، وله تعاليق وتصانيف ومسودات كثيرة في الفقه وأصوله والحديث والعربية، ومنها مختصر كتاب المحرر للرافعي توفي سنة ٨٧٦. ويظل الفقه الحنبلي ناشطا بمصر زمن العثمانيين، وفي كتاب تاريخ الجبرتي أسماه كثيرين من فقهاء الحنابلة ومن أكبر ائمتهم مرعى (٣٨٧) بن يوسف المتوفى سنة ١٠٣٣ وله مؤلفات كثيرة في المذهب، منها غاية المنتهى ويبد وأن المذهب الظاهري ظل معروفا مصر وظل علماء يعنون به ويتدارسونه، ونلتقي في كتب الراجم من حين إلى آخر بأسماء من كانوا يعتنقون هذا المذهب مثل بدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بالبَشتكي المتوفى سنة ٨٣١.

ومعروف أنه حين حكم الفاطميون مصر كانوا يولون على القضاء فقهاء من عقيدتهم، ومر بنا في الفصل الأول بيان لمبادئ عقيدتهم الأساسية وإشارة إلى بعض آرائهم الفقهية التي خالفوا فيها الجماعة، وأول قضاتهم بمصر النعمان (٣٨٨) بن منصور التميمي الملقب بأبي حنيفة الشيعة، كان في أول أمره مالكيا، ثم تحول إلى مذهب الإمامية الشيعي، ثم انتقل إلى عقيدة الإسماعيلية في خدمة المعز لدين الله بإفريقية، وقدم معه إلى مصر فأسند إليه القضاء، ولم يلبث أن توفي سنة ٣٦٣. وله مصنفات فقهية شيعية مختلفة أهمها كتابه "دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله" وهو المصدر الأساسي في الفقه وعلم الكلام عند الشيعة

---

(٣٨٧) خلاصة الأثر ٤/ ٣٥٨.

(٣٨٨) راجع فى النعمان ابن خلكان ٥/ ٤١٥ ولسان الميزان ٦/ ١٦٧ والشذرات ٣/ ٤٧ ومرآة الجنان ٢/ ٣٧٩ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٠٦ ومقدمة كتاب الهمة فى آداب أتباع الأئمة وكتاب دعائم الإسلام .

obeikandi.com

الإسماعيلية. ونشر له المرحوم الدكتور محمد كامل حسين كتاب الهمة في آداب أتبع الأئمة، وذكر في مقدمته له كثيرا من الكتب الفقهية الإسماعيلية.

وظل القضاء الفاطمي بعده في بيته إلى نهاية القرن الرابع الهجري. وينزل مصر سنة ٤٠٧ كبير دعاة الفاطميين وفقهائهم في الشرق حميد (٣٨٩) الدين الكرماني ولم يلبث أن يتوفي سنة ٤٠٨ ومن أهم مصنفاته كتاب "راحة العقل" الذي حققه ونشره المرحومان: الدكتور محمد مصطفي حلمي والدكتور محمد كامل حسين، وهو يزخر بمسائل فلسفية وعقيدية متشابكة. وينزل مصر بعده المؤيد (٣٩٠) في الدين هبة الله الشيرازي أكبر دعاة الفاطميين وفقهائهم في القرن الخامس، وقد ظل بها نحو ٣٠ عاما حتى توفي سنة ٤٧٠ وأهم مصنفاته المجالس المؤيدية، وهى ثمانمائة مجلس في العقيدة الفاطمية وتشتمل على كير من المسائل العقيدية والفقهية، ونشر الدكتور محمد عبد القادر عبد الناصر في القاهرة ملخصا لهذه المجالس من صنعة حاتم بن إبراهيم. ونعيد هنا ما قلناه في الفصل الأول من أن هذه العقيدة وكل ما اتصل بها من فقه وغير فقه، وظلت غريبة في مصر، وظل المصريون مبتعدين عنها حتى انتهت تلك الدولة الشيعية المتطرفة.

ومر بنا أن الشافعي هو الذي أسس علم أصول الفقه ورفع أركانه وشاد بنيان، فكان طبيعيا أن تظل مصر بعده عاكفة على هذا العلم وأن يلقانا كثيرون من فقهاء

---

(٣٨٩) انظر فى حميد الدين بروكلمان ٣/ ٣٥٥ ومقدمة كتاب راحة العقل.

(٣٩٠) راجع فى المؤيد فى الدين السيرة المؤيدية بتحقيق د. محمد كامل حسين وكتابه فى آداب مصر الفاطمية ص ٥٩، ١١٦.

obeikandi.com

الشافعية منكبين عليه، وسرى ذلك منهم إلى فقهاء الحنفية، بل أيضاً إلى فقهاء المالكية والحنابلة. ولن نستطيع أن نلم بما كت في هذا الميدان لكثرته، ولذلك سنكتفي بذكر بعض كتبه الهمة، من ذلك كتاب الإحكام في أصول الأحكام لسيف [٣٩١] الدين الآمدي نزيل مصر سنة ٥٩٢ المتوفى سنة ٦٣١ وهو من أجمع وأروع ما وضع في هذا العلم. ولابن الحاج الذي مر ذكره بين النحاة مختصر له شُرح مرارا وتكرارا، ولشمس [٣٩٢] الدين الأصفهاني بعده المتوفى سنة ٦٨٨ شرح كبير لكتاب المحول في علم الأصول لفخر الدين الرازي. ولبهاء الدين السبكي المذكور في فقهاء الشافعية كتاب بديع في الأصول سماه جمع الجوامع.

ولم ينشأ في مصر مذهب مستقل في علم الكلام، فقد كانت تعتمد دائماً على ما يأتيها من الخارج، غير أنه لاحظ أنه منذ عهد صلاح الدين الأيوبي غلب مذهب الأشعري الذي يقف بين المعتزلة وأهل السنة، يقول المقريزي في الحديث عن مذاهب أهل مصر: "وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعري. وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الإمام الشافعي من القرافة والمدرسة التي عُرفت بالشريفية بجوار جامع عمرو بن العاص والمدرسة المعروفة بالقمحية وخانقاه سعيد السعداء بالقارة، فاستمر

---

(٣٩١) انظر فى الآمدى ابن خلكان ٣/ ٢٩٣ والسبكى ٨/ ٣٠٦ والسيوطى ١/ ٥٤١ والعبر ٥/ ١٢٤ والشذرات ٥/ ١٤٤ ولسان الميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٩ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٥.

(٣٩٢) راجع فى شمس الدي الأصفهانى السبكى ٨/ ١٠٠ والسيوطى ١/ ٥٤٢ والعبر ٥/ ٣٥٩ والشذرات ٥/ ٤٠٦ وفوات الوفيات ٢/ ٥٢٣ ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٨.

obeikandl.com

الحال على عقيدة الأشعرية بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضاً لإدخال ابن تومرت رأى الأشعري إليها" (٣٩٣). ولعل أكبر كتاب أشعري ألف في مصر كتاب أبكار الأفكار لسيف الدين الآمدى المذكور آنفا وفيه مباحث كبرى عن العلم والنظر وأقسام المعلوم والنبوات والمعاد. ويظل التأليف في علم الكلام على مذهب الأشعري ناشطاً حتى نهاية زمن العثمانيين.

(٣٩٣) خطط المقريزى ٣/ ٢٧٩.

obeikandl.com

التاريخ

نشطت مصر في كتابة التاريخ منذ مطالع القرن الثالث للهجرة، وقد كتبتْ في جميع ألوانه: في التاريخ العام أو تاريخ الدول العربية، وفي التاريخ الخاص تاريخ دولها وحكامها المختلفين، وفي تاريخ المدن وخاصة القاهرة والإسكندرية، وتاريخ الرجال وتاريخ العلماء من كل صنف وتاريخ الشعراء والأدباء. وبجان ذلك عُينت بكتابة السيرة. ولها في كل ذلك نشاط واسع، ولعل من الخير أن نتعقبه على مر القرون.

وأول ما يلقانا في ذلك في القرن الثالث للهجرة، السيرة النبوية لعبد (٣٩٤) الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ وقد طبقت شهرتها العالم الإسلامي، ولمصر فضل إهدائها إلى هذا العالم وتداولها يه إلى اليوم، وأنها لتعد أوثق مصدر يرجع إليه مؤرخو السيرة المحمدية. ويلقانا بعدها كتاب فتوح مصر والمغرب لعبد (٣٩٥) الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة ٥٧. ويكتب محمد بن عبد الله بن الحكم المتوفى سنة ٢٦٨ سيرة لعمل بن عبد العزيز، وهى مطبوعة بالقاهرة.

---

(٣٩٤) انظرعبد الملك بن هشام فى ابن خلكان ٣/ ١٧٧ وشرح سيرته للسيهلى المسمى الروض الأنف: مقدمته، وعبر الذهبى ١/ ٣٧٤ والسيوطى ١/ ٥٣١ وإنباه الرواة ٢/ ٢١١.

(٣٩٥) راجع عبد الرحمن فى ابن خلكان ٣/ ٣٥ والسيوطى ١/ ٤٤٦، ٥٥٣ والديباج لابن فرحون والميزان للذهبى ٣/ ٨٦.

obeikandl.com

ويلقانا من المؤرخين المصريين في القرن الرابع الهجري مؤرخ قبطي هو سعيد [٣٩٦] بن البطريق الذي تقلد منصب بطريرك الإسكندرية سنة ٣٢١ وظل يشغله حتى توفي سنة ٣٢٨ وله تاريخ سماه نظم الجوهر، ويقول ابن أبى أطبيعة إنه ثلاث مقالات أو ثلاثة أبواب: باب عن النصارى وصومهم وإفطارهم وتاريخهم وأعيادهم، وباب أو مقالة عن تواري الخلفاء والملوك المتقدمين، ومقالة أو باب عن تاريخ البطاركة وأحوالهم وما جرى في ولاياتهم. وكتاب سعيد إشارة قوية إلى تعرب القبط حينئذ واستيعابهم العربية. وذيل على هذا الكتاب يحيى بن سعيد الأنطاكي بتكملة أخر فيها من سنة ٣٢٦ حتى سنة ٤٢٥ وكان قد نزل أنطاكية سنة ٤٠٣ ووجد بها من الوثائق عن الدولة البيزنطية وبطاركة أنطاكية والقسطنطينية في تلك الحقبة ما ضمه إلى أخبار بطاركة الإسكندرية وأخبار الدولتين العباسية والفاطمية. كان يعاصر سعيد بن البطريق أحمد [٣٩٧] بن يونس بن الداية المتوفى سنة ٣٤٠ وله كتاب سيرة أحمد بن طولون، وضمن ابن سعيد في كتابه لمغرب- القسم الخاص بالفسطاط- أكثر هذه السيرة، وعليه اعتمد البلوي فيما كتبه عن ابن طولون وآله. ولابن الداية أيضاً كتاب في أخبار الأطباء مفقود، وكتاب في السياسة نشر في بيروت، وسنعرض في حدثنا عن النثر لكتابه "المكافأة". وكان يعاصره عبد الرحمن [٣٩٨] بن أحمد بن يونس الصدفي المتوفى

---

(٣٩٦) انظر ابن البطريق فى ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٥ ودائرة المعارف الإسلامية وبروكلمان (الطبعة العربية) ٣/ ٧٧ وما بهما من مراجع وقد طبع كتاب ابن البطريق فى أكسفورد ونشره اليسوعيون فى بيروت ونشر ذيله روزن فى لينجراد فى القرن الماضى.

(٣٩٧) انظر مصادر ابن الداية فى كتابه المكافأة فى الفصل الخامس من هذا الكتاب.

(٣٩٨) راجع ابن يونس فى السيوطى ١/ ٣٥١، ٥٥٣ وابن خلكان ٣/ ١٣٧ وفوات الوفيات ١/ ٥٢٦

obeikandl.com

سنة ٣٤٧ وقد وضع في التراجم كتابين: كتاب عن علماء مصر وكتاباً عن الغرباء الواردين على مصر، وهما مفقودان مثل كتاب ثالث له ذكره صاحب كشف الظنون، وهو في تاريخ الصعيد. ونلتقي بمحمد (٣٩٩) بن يوسف الكندي المتوفى سنة ٣٥٠ وله كتابان: ولاة مصر أو أمراؤها حتى سنة ٣٣٥ وكذلك قضاتها، نشرهما جيست، وهما كتابان نفيسان. ونلتقي في أوائل زمن الفاطميين بابن (٤٠٠) زولاق الحسن بن إبراهيم المتوفى سنة ٣٨٧ وله كتاب سيرة محمد بن طغج الإخشيد، احتفظ بأكثره ان سعيد في كتاب المغرب: سم الفسطاط، وكانت له أيضاً- وفُقدت- سيرة جوهر وسيرة المعز وسيرة العزيز وتاريخ السنين، وتكملة لكتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي وطبع له كتاب أخبار سيبويه المصري. ويلقانا بعده الطحان أبو القاسم يحيى (٤٠١) بن على الحضرمي المتوفى سنة ٤١٦ وله ذيل على تاريخ ابن يونس الصدفي، كما يلقانا الروذ بارى احمد (٤٠٢) بن الحسين معاصره وله تاريخ في تاريخ خلفاء مصر حتى زمن الحاكم سماه "بلشكر الأدباء" وينقل ابن سعيد عنه في قسم القاهرة من كتابه المغرب مراراً، وعليه٩ اعتمد فيما ذكره من أخبار الحاكم. وكان يعاصره هو والطحان والمسبحي (٤٠٣) الأمير المختار عز الملك محمد بن عيد الله المتوفى سنة ٤٢٠، وقد ترجم

والشذرات ٢/ ٣٧٥ وعبر الذهبي ٢/ ٢٧٦.

(٣٩٩) انظر فى الكندى السيوطى ١/ ٥٥٣ ودائرة المعارف الإسلامية وبروكلمان ٣/ ٨٢.

(٤٠٠) انظر ابن زولاق فى السيوطى ١/ ٥٥٣ وابن خلكان ٢/ ١٩١.

(٤٠١) انظر الطحان فى ابن خلكان ٣/ ٢٢٣ وانظر بروكلمان ٦/ ٨٤.

(٤٠٢) راجع الروذبارى فى الغرب لابن سعيد (قسم القاهرة) ص٣٦٣.

(٤٠٣) انظر فى المسبحى المغرب (قسم الفسطاط) ص ٢٦٤ وابن خلكان ٤/ ٣٧٧ والسيطى ١/ ٥٤٤

obeikandi.com

له ابن سعيد في الغرب ترجم ضيافة ذكره فيها مصنفاته الكثيرة. وأهمها تاريخه الكبير عن مصر وولاتها وخلفائها الفاطميين، وسماه "كتاب أخبار مصر وفضائلها وعجائبها وطرائفها وغرائبها وما بها من البقاع والآثار وسير من حلها من الولاة والأمراء والأئمة الخلفاء آباء أمير المؤمنين" وقد نشرت من هيئة الكتاب قطعة صغيرة تؤرخ سنتي ٤١٤ و٤١٥ للهجرة. وتلقانا سيرتان أيام الفاطميين: سيرة جوذر الصقلي أحد رجال الدولة الفاطمية بل استيلائها قبل استيلائها على مصر، وهى منشورة، وأهم منها السيرة المؤيدية للمؤيد الشيرازي داعي دعاة الفاطميين المار ذكره، وفيا يتحدث عن حياته من سنة ٤٢٩ حتى سنة ٤٢٠ ويذكر بعض رسائله ومناظراته العلمية.

ومن أهم المؤرخين في زمن الفاطميين على (٤٠٤) بن منجب الصيرفي المتوفى سنة ٥٥٠ وله كتاب في وزراء الفاطميين سماه الإشارة إلى من نال الوزارة ألفه للوزير الفاطمي البطائحي. وللرشيد (٤٠٥) بن الزبير أحمد بن على المتوفى سنة ٥٦٣ كتاب في شعراء مصر سماه "جنان الجنان ورياض الأذهان" ألفه سنة ٥٥٨ وهو أهم كتاب ألف عن الشعر الفاطمي وعليه اعتمد ابن سعيد في جزأي الفسطاط والقاهرة من مصنفه "المغرب" في كثير من تراجمه. وبجانب ذلك نجد في أواخر زمن الفاطميين مصنفات فرعية مثل"الرسالة المصرية" لأمية ن عبد العزيز الأندلسي المعروف باسم أبى الصلت،

والوافى للصفدي ٤/ ٧ والعبر ٣/ ١٣٩ والشذرات ٣/ ٢١٥ والجوم الزاهرة ٤/ ٢٧١.

(٤٠٤) راجع مصادر ترجمة ابن مجب فى ص ٤٠٥.

(٤٠٥) انظر فى الرشيد ابن خلكان ١/ ١٦٠ ومعجم الأدباء ٤/ ٥١ والطالع السعيد ٥٢ والخريدة قسم مصر ١/ ٢٠٠ والشذرات ٤/ ١٩٧. والسيوطى ١/ ٥٤٠.

obeikandl.com

وعداده في الأندلسيين. ومن ذلك مصنَّف للقاضي الجليس في شعراء طلائع ابن زريك، ورسالة لان جبر يحيى بن حسن ألفها في مدائح بنى أسامة سنة ٥٢٥. ونلتقي بالقرطي محمد (٤٠٦) بن سعد الذي ألف لشاور وزير الخليفة العاضد (٥٥٥-٥٦٧هت) كتابا في تاريخ مصر، وتاريخ وفاته غير معروف. وعنه نقل ابن سعيد مقتطفات كثيرة في قسمي الفسطاط والقاهرة من كتابه المغرب. وكان يعاصره على بن أبى السرور الروحي وله تحفة الظرفاء في أخبار الأنبياء والخلفاء إلى الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي المتوفى سنة ٤٢٧ ويظن أنه ألفه بالإسكندرية سنة ٥٦٧ وطبع في القاهرة من تكملة إلى العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وتكملة ثانية إلى المستعصم سنة ٦٤٠.

وفي أواخر زمن الفاطميين وأوائل عهد الأيوبيين نلتقي بأبي صالح الأرمني، وله كتاب عن الكنائس والأديرة بمصر وما يجاورهما من البلاد ابتداء تأليفه سنة ٥٦٤ نُشر الجز الأول منه في أكسفورد سنة ١٨٩٥. ويلقانا في زمن الأيوبيين أو طاهر السلفي المار ذكره وله معجم السفر لشيوخه ومن لقبهم. وتتكاثر هذه المعاجم فيما بعد، إذ تكثر ترجمة العلماء لشيوخهم، مما يُلقى أضواء كثيرة على الحركة الثقافية لعهودهم. وكان يعاصره الشريف النسابة محمد (٤٠٧) بن أسعد الجَّوانيّ الحسيني، المتوفى سنة ٥٨٨ وله كتاب طبقات الطالبين وتاج الأنساب.

وكتب إبراهيم بن وصيف شاه قبل سنة ٦٠٦ كتاب جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور وأخبار الديار المصرية. ولعلي بن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦٢٣

---

(٤٠٦) انظر فى القرطى المغرب قسم الفسطاط ص ٢٦٧.

(٤٠٧) انظر فى الجوانى الخريدة (قسم مصر) ١/ ١١٧ ولسان الميزان ٥/ ٧٤.

obeikandl.com

كتاب الدولة المنقطعة في أربعة مجلدات وفيه يذكر تاريخ الطولونيين والإخشيديين والفاطميين والعباسيين حتى سنة ٦٢٢. ومرَّ بنا ذكر الحافظ عبد الغنى بن الحنابلة وأن له كتاب الإكمال في معرفة أسماء الرجال. وأكبر مؤرخ للرجال زمن الأيوبيين القفطي (٤٠٨) على بن يوسف المتوفى سنة ٦٤٦ وله كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة وكتاب المحمدين من الشعراء. وهما مطبوعان وله أيضا كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء. اختصره الزوزني محمد ن على المعاصر له وسمي مختصره "تاريخ الحكماء" طبع في ليبزج والقاهرة، وهو مبثوث في هوامش هذا الجزء.

ونمضى إلى زمن المماليك وفي عهدهم تزدهر كتابة التاريخ العام والخاص وتاريخ التراجم والسير، ويلقانا المكين (٤٠٩) بن العميد، وهو جرجيس (أبو عبد الله) بن أبى اليسيرين أبى المكارم المولود بالقاهرة سنة ٦٠٢ والمتوفى بدمشق سنة ٦٧٢ وله كتاب المجموع المبارك وهو تاريخ عام للعالم في قسمين: القسم الأول من بداية الخلق إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والقسم الثاني من الرسول إلى سنة ٦٥٨ وقد نُقل إلى اللاتينية وطبع مع الأصل العربي في ليدن سنة ١٦٢٥ للميلاد وتُرجم إلى الإنجليزية وطبع في لندن ثم إلى الفرنسية وطُبع في باريس. وكان يعاصره ابن ميسر (٤١٠) تاج الدين محمد بن على بن يوسف المتوفى سنة ٦٧٧ مصنف تاريخ مصر وهو ذيل أو تكملة

---

(٤٠٨) انظر القفطى فى معجم الأدباء ١٥/ ١٧٥ والطالع السعيد ص ٢٣٧ والشذرات ٥/ ٢٣٧ وفوات الوفيات ٢/ ١٩١ والسيوطى ١/ ٥٥٤.

(٤٠٩) انظر المكين فى بروكلمان ٦/ ١٤٤ ودائرة العارف الإسلامية.

(٤١٠) انظر ابن ميسر فى بروكلمان ٦/ ٩٠.

obeikandl.com

لكتاب المسبَّحي آنف الذكر. للشاعر المعروف اسم الجزار المتوفى ٦٧٩ قصيدة تاريخية سماها العقود الدرية في الأمراء المصرية حتى الملك الظاهر بيبرس احتفظ بها السيوطي في كتابه حسن المحاضرة. ولابن (٤١١) الراهب القبطي أبى شكر بطرس المتوفى سنة ٦٨١ كتاب في التاريخ العام يشتمل على تاريخ ملوك الروم والبطاركة والخلفاء والأمراء إلى سنة ٦٥٧ تُرجم إلى اللاتينية سنة ١٦٥١ وعُني به اليسوعيون ببيروت ونشروه سنة ١٩٠٣. وحرى بنا أن نذكر هنا ابن (٤١٢) خلكان أكبر كتاب التراجم وأوثقهم المتوفى سنة ٦٨١ وحقا نشأ بالموصل، ولكنه أقام فترات طويلة بالقاهرة وفيها بدأ تأليف كتابه النفيس: وفيات الأعيان سنة ٦٥٤ وأتمه بها سنة ٦٧٢. ويلقانا محيى (٤١٣) الدين بن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢ وله سيرة نفيسة في السلطان قلاوون" باسم: تشريف الأيام والعصور في السيرة الملك المنصور قلاوون وهى منشورة، وله أيضاً سيرة في السلطان الظاهر بيبرس وسيرة ثالثة في الأشراف خليل بن قلاوون، وأيضاً له خطط القاهرة.

ونلتقي في القرن الثامن بالدوادار (٤١٤) ركن الدين بيبرس المنصوري المتوفى سنة ٧٢٥ وله زيدة الفكرة من تاريخ الهجرة. وهو تاريخ عام للدولة الإسلامية حتى سنة ٧٢٤ مرتب على السنين في أحد عشر مجلداً، وفي مكتبة جامعة القاهرة مصورات

---

(٤١١) انظر ابن الراهب فى بروكلمان ٦/ ١٤٦.

(٤١٢) انظر مصادر تجرمة ابن خلكان وأخباره فى الجزء الخامس من هذه السلسلة بقسم العراق.

(٤١٣) راجع مصادر ترجمة محي الدين بن عبد الظاهر فى ص٤١٥.

(٤١٤) انظر فى الداوادار الدرر الكامنة ٢/ ٤٣ والشذرات ٦/ ٦٦ ودائرة المعارف الإسلامية.

obeikandl.com

لبعض أجزائه. وكان يعاصره النويري الذي تحدثنا عنه بين الجغرافيين مشيرين إلى موسوعته الكبرى نهاية الأرب. وبها سيرة نبوية مطولة وتاريخ عام للدولة الإسلامية. وأشرنا هناك أيضاً إلى ابن فضل الله العمري وموسوعته مسالك الأبصار، وبها مجلدات ضخمة لتراجم الأطباء والفقهاء والعلماء من كل صنف والشعراء والكتاب لا في مصر وحدها بل في العالم العربي جميعه. ونلتقي بالحافظ ابن (٤١٥) سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ وسيرته النبوية: "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير". وها إضافة مهمة إذ لا تكتفي بما في كتب السيرة كسيرة ابن هشام، بل تضيف إلى ذلك المراجع في كتب الحديث مثل صحيح البخاري. ويلقانا الإدفوي (٤١٦) جعفر بن ثعلب المتوفى سنة ٧٤٨ مصنف الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد. وكان يعاصره المفضل بن أبى الفضائل القبطي وله ذيل على تاريخ المكين بن العميد باسم "النهج السديد والدرر الفريد فيما يعد تاريخ ابن العميد" يشمل تاريخ سلاطين المماليك من الظاهر بيبرس إلى الناصر قلاوون وتاريخ بطاركة الإسكندرية والمسلمين في اليمن والهند وتاريخ التتار، نُشر منه القسم الخاص بسلاطين (٤١٧) المماليك. ونلتقي بالحافظ مُغْلطاي المار ذكره بين المحدثين، وله سيرة نبوية باسم "الزهر الباسم في سيرة أبى القاسم" ومنها مخطوطة في دار الكتب المصرية.

---

(٤١٥) راجع فى ابن سيد الناس السيوطى ١/ ٣٥٨، ٤٢٥ والبدر الطالع ٢/ ٢٤٩ والنجوم ٧/ ٣٥٦ وطبقات القراء ١/ ٣٨٦ والدرر الكامنة ٤/ ٣٣٠ والسبكى ٩/ ٤٦٨.

(٤١٦) راجع فى الإدفوي السيوطى ١/ ٥٥٦ والشذرات ٦/ ١٥٣ والدرر الكامنة ٢/ ٧٢ والبدر الطالع ١/ ١٨٢.

(٤١٧) بروكلمان ٦/ ١٤٦.

obeikandl.com

ويلقانا بها الدين السبكي الـذي ذكرنـاه بـين فقهـاء الـشافعية، ولـه كتابـه النفـيس "طبقات الشفاعية". ونراه يصل التاريخ بالمجتمع في كتابه "معيد الـنعم" وهـو يلتقـي بكتاب الجمهورية لأفلاطون وكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي، والكتابـان إنـما يعرضان للحياة السياسية والإجتماعية في المدينة عرضا مثاليا، والسبكي يتجه في "معيد النعم" نفس الوجه في المجتمع المصري، فيصور المثالية، ولا يكتفي بذلك، بل يعمد إلى تصوير الواقع مقابلا بينه وبين المثال، ولكي يصل إلى ذلك استعرض عناصر المجتمـع، وهى تبلغ عنده مائة واثني عشر عنصرا: من السلطان ونوابه ومـوظفي الدولـة وقـواد الجيش والقائمين على الـضرائب والأسـواق والقـضاة والعلـماء والوعـاظ والـصوفية وخزنة الكتب ومعلمي الكتابتيب والوراقين وأصـحاب الزراعـة والـصناعة والتجـار وأصـحاب الحـرف المختلفـة، وحتـى البـوابين والقـائمين عـلى إصـطبلات الخيـول والشحاذين. كل هؤلاء ستعرض حياتهم بواقعها وما ينبغي أن تكون عليه مـن صـورة مثالية. وبذلك رسم المجتمع المصري بكل معايبه وما ينبغي أن يكـون عليـه مـن هيئـة فاضلة.

ويلقانا في مطالع القرن التاسع ابن (٤١٨) الفرات ناصر الدين محمد بن عـد الـرحمن المتوفى سنة ٨٠٧ وله كتاب "تاريخ الدول والملوك" بلغ فيه نهايـة سـنة ٨٠٣ وكـان في عشرين مجلدا. وكان يعاصره ان دقماق (٤١٩) صارم الدين إبراهيم بن محمد المذكور بين الجغرافيين والمتوفى سنة ٨٠٩ وله كتاب الانتصار لواسطات عقد الأمصار. خص كـل

(٤١٨) انظر ابن الفرات فى السيوطى ١/ ٥٥٦ والضوء اللامع ٨/ ٥١.

(٤١٩) انظر ابن دقماق فى السيوطى ١/ ٥٥٦ والشذرات ٧/ ٨٠ والضوء اللامع ١/ ١٤٥.

obeikandl.com

جزء منه بمدينة، وقد نشر فولرز منه الجزءين الخاصين بالقاهرة والإسكندرية، وله كتاب في تراجم الصوفية، وله في تاريخ مصر كتاب نزهة الأنام في اثني عشر مجلدا وتاريخ لحكام مصر حتى سنة ٨٠٥ صنفه لسلطان برقوق وله فيه سيرة سماها "عقد الجواهر في سيرة الملك الظاهر برقوق"وتكثر في هذا العصر كتابه سيرة السلاطين. وقد ذكرنا بين الجغرافيين القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ وكتابه صبح الأعشى، وهو سجل تاريخي حالف بمعلومات نفيسة عن مكاتبات الحاكم في العالم العربي على مر العصور بجانب أنه معلمة جغرافية رائعة. وله مصنفات مختلفة.

ونلتقي بالمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ وقد مر ذكره بين الجغرافيين مع الإشارة إلى كتابه "الخطط" وفيه يتحدث عن البيئة الطبيعية- كما أسلفنا- لمصر، ويفيض في الحديث ن القاهرة وآثارها وأحيائها ومساجدها ومدارسها وحماماتها ومارستانها ومصانعها وخزائن كتبها وما كان بها من حركة علمية، ويتحدث عن الدول التي أظلتها، وبذلك يلتقي في الكتاب تاريخ مصر الفكري بتاريخها السياسي والاجتماعي والروحي والحضاري، إذ حول المقريزي التاريخ إلى دراسة اجتماعية وعقلية وسياسية عن تصوير عادات السكان وتقاليدهم ومستوى معيشتهم ونزعتهم الصوفية وكل ما اختلف على أهل مصر والقاهرة من صور الحياة. وله سيرة نبوية في ستة مجلدات بام "إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع" وله اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا في تاريخ الدولة الفاطميين وهو مطبوع وكتاب المقفي في تراجم أمراء مصر وأعيانها رتبة على الحروف الأبجدية، وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك في تاريخ مصر من سنة ٥٧٧-٨٤٤ وكتاب درر العصور الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، وكتاب

البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب إلى غير ذلك من كتب تاريخية نفيسة. وكان يعاصره ابن حجر (٤٢٠) الذي مر ذكره بين المحدثين، وعنى بالتأليف في التراجم، وله كتاب الإصابة في تراجم الصحابة وكتاب رفع الإصر عن قضاة مصر وكتاب تهذيب التهذيب في أثنى عشر مجلداً وكتاب لسان الميزان وكتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وكل هذه الكتب مطبوعة، وله أناء الغمر بأبناء العمر، وعنى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بطبعه.

ويلقانا أبو المحاسن جال الدين يوسف بن تعرى (٤٢١) بردى المتوفى سنة ٨٧٤، وله كتابه النفيسة "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" يؤرخ فيه لمصر منه دخلها عمرو بن العاصر وأضاءت فيها أنوار الدين الحنيف حتى سنة ٨٧٢ وهو تاريخ على السنوات. وعادة يقدم لسنوات كل وال أو خليفة أو حاكم أو سلطان بكلمة عامة عن حكمه وما وع فيه من أحادث مهمة وما يداخل زمنه من بعض الشئون الاجتماعية مع الاهتمام بالنواحي العلمية. وهو فيه لا يؤرخ لمصر وحدها، بل يذرك مع سنواتها دائماً تاريخ الدول العربية، ومع كل سنة وفيات الأمراء والعلماء والأداء في العالم العربي، وأيضاً مع تصوير الحياة العربية في جميع مناحيها. وكانت له علية فذة استطاع بها أن

---

(٤٢٠) انظر ابن حجر فى السيوطى ١/ ٣٦٣ والشذرات ٧/ ٢٧٠ والضوء اللامع جـ ٢ رقم ١٠٤ والفوائد البهية للكنوى ص ١٠٠ والبدر الطالع ١/ ٨٧ والمؤرخون فى مصر فى الفرن الخام عشر الميلادى لمحمد مصطفى زيادة ص١٧.

(٤٢١) انظر ابن تغرى بردى فى الضوء اللامع جـ ١٠ رقم ١٧٨ والشذرات ٧/ ٣١٧ والبدر الطالع ٢/ ٣٥١ ومقدمة كتابه النجوم الزاهرة طبع دار الكتب المصرية ودائرة المعارف الإسلامية فى أبى المحاسن، وزيادة ص ٢٦.

obeikandi.com

يبرز الأحداث السياسية في وطنه والأوطان العربية مع سوق كثير من الطرائف الأدبية والاجتماعية. والكتاب مطبوع في ستة عشر مجلداً. وله مصنفات تاريخية مختلفة بجانبه أهمها كتابه المنهل الصافي وهو معجم نفيس لمشاهير الرجال الذين توفوا من سنة ٦٤٨ حتى أيامه، ويشمل نحو ثلاثة آلاف ترجمة لمن عاشوا في مصر والشام في تلك المدة ومن عاصروهم من أهل العراق والحجاز واليمن والتتار وبلاد المغرب والأندلس من الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء والقواد والعلماء والكتاب والشعراء والمؤرخين والأطباء والمهندسين والتجار وأرباب المهن وغيرهم، وصنع له مختصرا باسم الدليل الشافي على المهل الصافي وهو منشور في مجلدين.

وكان يعاصره ابن قطلوبغا الذي مرّ ذكره بين الأحناف، وقد أشرنا هناك إلى أن له كتابا في تراجم الحنفية سماه "تاج التراجم" وهو مبثوث في هوامش هذا الجزء. ونلتقي بشمس (٤٢٢) الدين السخاوي محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢ وله كتاب الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع وهو معجم بديع لتراجم هذا القرن، وقد عدنا إليه مرارا فيما أسلفنا من حديث، وله ذلك على كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لأستاذه المقريزي، وذيل لآخر لكتاب أستاذه الثاني ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، وقد خصه بترجمة لحياته.

---

(٤٢٢) انظر فى السخاوى مقدمة كتابه الضوء وكذلك جـ ٨ قام ١ والكواكب السائرة للغزى ١/ ٥٣ والشذرات ٨/ ١٥ والبدر الطالع ٢/ ١٨٤ والنور السافر للعيدروسي ص ١٦ والمؤرخون فى مصر لزيادة ص ٣٩.

obeikandl.com

ويتوج السخاوي هذا النشاط التاريخي العظيم بكتابه: "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" وهو محاولة رائعة لوضع علم التاريخ الإسلام العربي. واسم الكتاب يوحى بأنه دفاع عن التاريخ، وقد بدأ ببيان معنى كلمة التاريخ لغة واصطلاحا وبيان موضوعه وأنه الزمان والإنسان، وأخذ يصور فوائده في التربية الدينية والخلقية والشئون الاقتصادية وأيضاً الشئون السياسة بما يدفع إليه الحكام من العدل في الرعية والقواعد من تدبير شئون الجيش، وبالمثل الشئون الاجتماعية وما يتصل بها من الكمالات والنواقص في المجتمعات. ويعرض التفصيل لما ينبغي أن يتوفر في المؤرخ من شروط العدالة والتحري والتدقيق في الأخبار مما ينبغي معه رفض الإسرائيليات والأساطير. ويطيل في بيان أنه ينبغي على المؤرخ أن لا يستشعر عداوة من يعاديهم لأسباب عقيدة أو مذهبية أو شخصية، ويصور الاختلاف العنيف بين المتصوفة وأهل السنة وكذلك بين الشيعة وخصومهم. وُيْنحى باللائمة على الذهبي في تراجمه لاستطالته على المتصوفة وكثيرين من أئمة الشافعية والحنفية والأشاعرة لمخالفتهم له في العقيدة الحنبلية. وينقل عن السبكي أنه ينبغي أن لا يؤخذ بكلامه في ذم أشعري والثناء على حنبلي. ويفيض في بيان التحري في الروايات الرواة ويبسط الحديث في نقد المؤرخين وكتاباتهم التاريخية. الكتاب بالغ الروعة والنفاسة.

وكان يعاصره السيوطي الذي مر ذكره بين اللغويين والنحاة والمحدثين وفقهاء الشافعية، وله طبقات الحفاظ وهو مختصر من طبقات الحفاظ للذهبي، وطبقات المفسرين وبغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة، وحسن المحاضرة وهو مبثوث في الهوامش، وتاريخ الخلفاء والسلاطين من عهد أبى بكر الصديق إلى زمن السلطان

obeikandi.com

قايتباي، ومسالك الحنفا في والدي المصطفى، ولب الألباب هذب فيه اللباب لابن الأثير ويشتمل على نحو تسعة آلاف اسم وكل هذه اكتب منشورة. وله وراءها مصنفات أخرى منها سيرة للأمام مالك سيرة للنووي. ويُختمُ زمن المماليك بان إياس محمد بن أحمد الذي عرضنا له بين الجغرافيين، وله تاريخ مفصل عن مصر سماه "بدائع الزهور في واقع الدهور، وهو يتناول فيه باختصار تاريخ مر، حتى إذا وصل إلى زمن قايتباي (٨٧٤ – ٩٠٣هـ) أفاض في التاريخ إفاضة واسعة، حتى ليذكر وفيات كل شهر، ومن أهم ما كتبه وصفه لاحتلال العثمانيين مصر بيناً ما الحقواه بها من دمار ونهب لكنوزها وصاعاتها وعلمائها صناعة المهرة، حتى ليقول إنهم أبطلوا من مصر خمسين صنعة.

وتظل للتاريخ بقية من النشاط في زمن العثمانيين، وأول مؤرخ نلتقي به في عهدهم ابن زنبل الرمال أحمد بن على المتوفى سنة ٩٦٠ وقد مر ذكره بين الجغرافيين وكان موظفا في ديوان الجيش العثماني، وله كتاب فتح مصر أو أخذها من الجراكسه على يد السلطان سليم. ويصف معاركه مع الجراكسة في شمال الشام وفي القاهرة وعودته إلى عاصمته استانبول. يلقانا عبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة ٩٧٣ ولقد ألمنا به في حديثنا عن المتصوفة في الفصل الماضي، وله طبقاته الكبرى في تراجم الصوفية على مر السنين حتى زمنه، وهو مطبوعة مرارا، ويلقانا في القرن الحادي عشر الهجري زين الدين بن أبى السرور البكري محمد الصديق وابنه شمس الدين محمد ولهما كتب مختلفة في العثمانيين، وأهم منهما عبد (٤٢٣) الرءوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ وله الكواكب

(٤٢٣) راجع المناوى فى خلاصة الأثر ٢/ ٤١٢ والبدر الطالع ١/ ٣٥٧.

obeikandi.com

الدرية في تراجم السادة الصوفية، وصنف كتابا في الأحكام السلطانية وكتابا في معجم الحديث سماه كنوز الحقائق. وكان يعاصره الإسحاقي محمد بن عبد المعطى المتوفى سنة ١٠٣٢ وله لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول" وهو مطبوع. ونلتقي بنور (٤٢٤) الدين الحلبي على إبراهيم المولود بمصر المتوفى سنة ١٠٤٤ وله السيرة النبوية الحلبية المشهورة، وهى مطبوعة مراراً. ويلقانا شهاب (٤٢٥) الدين الخفاجي ا؛مد بن محمد المتوفى سنة ١٠٦٩ وله ريحانة الأنبار ترجم فيها لشعراء الشام والمغرب والحجاز ومصر أيام العثمانيين وهو مطبوع مرارا. وألفت كتب كثيرة في السيرة النبوية، منها سيرة خير البرية للصبان المذكور بين النحاة والمتوفى بأخرة من زمن العثمانيين سنة ١٢٠٦ . وظلت مصر موئلا للعلماء- مؤرخين وغير مؤرخين- في زمنهم كما كانت في الأزمنة السابقة. ومن كبار المؤرخين الذين نزلوها حينئذ المقري المتوفى سنة ١٠٤١ مؤلف كتابي نفخ الطيب وأزهار الطيب الموسوعتين الأندلسيتين المشهورتين.

---

(٤٢٤) راجع نور الدين الحلبى فى خلاصة الأثر ٣/ ١٢٢.

(٤٢٥) انظر مصادر ترجمة الخفاجي فى مصر ٤٥٩.

obeikandl.com